الفصل الثالث

الأصول الاجتماعية
لتربية المرأة المسلمة المعاصرة

المبحث التاسع
التربية وثقافة المرأة المسلمة المعاصرة

إلى جانب تفرد المرأة في المعادلة الاجتماعية بكونها حاملة لبذور المستقبل، فإنه ينبغي في تربيتها الاهتمام بإمدادها بالثقافة اللازمة التي تنمي قدراتها العقلية لتكون مؤهلة لأداء رسالتها على أكمل وجه.

وسوف نتناول فيما يلي ماهية الثقافة الواجب تقديمها للمرأة المسلمة المعاصرة وذلك من خلال المحاور التالية:

أولا : مفهوم الثقافة.

ثانيا: العلاقة بين التربية وثقافة المرأة المسلمة المعاصرة.

ثالثا: وسائط تثقيف المرأة المسلمة المعاصرة.

رابعا: موضوعات واتجاهات تركز على تناولها وسائط تثقيف المرأة المسلمة المعاصرة.

خامسا: موضوعات واتجاهات ينبغي أن تسلط وسائط تثقيف المرأة المسلمة المعاصرة الضوء عليها.

أولا : مفهوم الثقافة :

شاع استخدام لفظ ثقافة في عصرنا الحاضر، وهو لفظ ما يزال يكتنفه الغموض حيث لم يوضع له حتى الآن تعريف واضح محدد.

فإذا ما نظرنا إلى المعاجم **اللغوية**؛ وجدنا أن كلمة ثقافة هي من ثقف أي هذب وحذق، وعلى ذلك فإن الثقافة هي العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها، وإنسان ثقف؛ أي ثابت المعرفة بما يحتاج إليه (ابن منظور، د. ت، ج١، ص ٣٦٤).

ويفرق الأستاذ عمر الأشقر بين اللفظ المفرد لكلمة " ثقافة " واللفظ المركب " ثقافة الأمة " حيث يرى بأن كلمة " ثقافة " تعني " الأخذ من كل علم بطرف وليس التعمق في دراسة أي علم من العلوم."(الأشقر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ١٧).

أما ثقافة الأمة فهي " تراثها الحضاري والفكري في جميع جوانبه النظرية والعملية الذي تمتاز به الأمة. وهذا التراث الذي يشكل ثقافة الأمة متداخل مترابط يشكل إطارا ومحيطا يحكم الأفراد والأسر والمجتمع في كل أمة ". (الأشقر، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م، ص١٧-١٨).

ويلاحظ أن هناك علاقة بين معنى كلمة " ثقافة " عند الأشقر، ومعناها المستمد من المعاجم اللغوية.

أما العلواني؛ فيعرف الثقافة على أنها " مجموعة المعارف التي تشكل الشخصية." (العلواني، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص ٤٩).

ويعرفها بنسعيد على أنها " مجموع أنماط السلوك المحدد للروابط بين الناس، وهي توفر لهم تصوراتهم عن العالم من حولهم، والحكم عليه، وهي تشمل المعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق والعادات والتقاليد. "(بنسعيد في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥، ع ٥٨٩١).

وفي تعريفه للنموذج الثقافي؛ يعرف محمد عمارة مصطلح " الثقافي " على أنه " جماع ما يعمر النفس الإنسانية ويصونها ويهذبها من سائر ألوان الإبداع والعطاء؛ إبداع الإنسان وعطاء المحيط. وينتقل من ذلك إلى تعريف الثقافة على أنها عمران النفس الإنسانية، إذ فيها تتجلى الخصوصيات بين الأمم والحضارات لاستقصاء النفس." (عمارة في الحياة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ع ١٢٢٢٤).

ويستعرض نصر عارف في أثناء حديثه عن " الحضارة والثقافة والمدنية " معاني كلمة " ثقافة " لدى الآخرين، ثم ينتهي إلى القول بأن الثقافة في أصلها العربي تعني مجموعة من الدلالات يجملها فيما يلي:

١- ".... تنقية الفطرة البشرية وتشذيبها وتقويم اعوجاجها ثم دفعها لتوليد المعاني الجوانية الكامنة فيها وإطلاق طاقاتها لتنشئ المعارف التي يحتاجها الإنسان".

٢- البحث والتنقيب والظفر بمعاني الحق والخير والعدل وغيرها من القيم التي تصلح الوجود الإنساني، وهذا مفهوم يفتح الباب أمام العقل لكل المعارف النافعة.

٣- أنه يركز في المعرفة على ما يحتاجه الإنسان وفقا للبيئة والمجتمع الذي يعيش فيه،

فالإنسان المثقف؛ يكون مرتبطا بمجتمعه وقضاياه بغض النظر عن كم المعارف لديه، ودوره هو دور المصلح.

ويرى عارف بأن أخذ الثقافة بمعنى المعارف والعادات والقيم.... إلخ قد يؤدي إلى ظهور أنماط من المثقفين يكون الواحد منهم إما تابعا لنمط حضاري آخر يخرب مجتمعه من أجل تطبيق ما يؤمن به ويعتقد أنه الحقيقة المطلقة دون فهم لظروف مجتمعه وما يصلحه، أو مثقفا ليس إلا وعاء لأكداس من المعارف والمعلومات المتضاربة.

٤- أنها عملية متجددة باستمرار؛ بمعنى ".... تكرار التهذيب ومراجعة الذات وتقويمها وإصلاح اعوجاجها ".

٥- أنه مفهوم لا يحمل في ذاته أحكاما قيمية، فالثقافة تتبع قيم مجتمعاتها وظروفها.

٦- أنه مفهوم عام للإنسان والجماعة والمجتمع، يشتمل على جميع أنواع الممارسات الإنسانية بمختلف درجاتها، ويعطي دلالاته على أي مستوى تحليلي يستخدم فيه، طالما تحقق مطلق التهذيب والتقويم. (عارف، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ٣٠-٣٣).

ونأتي أخيرا إلى تعريف عمر عبيد حسنة والذي يرى بأن الثقافة هي الارتقاء بخصائص وصفات ومزايا الإنسان، وحسن تأهيله وتربيته، واكتسابه مجموعة معارف تسهم في تشكيل شخصيته، وتكوين نظرته السوية إلى الكون والحياة، وتحديد هدفه وتكوين نسيجه العام، أي أن موضوعها الإنسان نفسه (عالم الأفكار) والإبداع في مجال المعنويات. (حسنة في النجار، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٧).

ونحن في هذا البحث سوف نأخذ بهذا التعريف لحسنه، مع وضع تعريف نصر عارف بعين الاعتبار، فنحدد معنى الثقافة المطلوبة للمرأة المسلمة المعاصرة في أنها تعني:

" مجموعة المعارف التي تسهم في تشكيل شخصية المرأة المسلمة المعاصرة، وتحديد أهدافها وتكوين نظرتها السوية للكون والحياة بما يعينها على معايشة العصر الذي تعيش فيه ضمن الإطار الذي ارتضاه لها الإسلام ".

ثانيا: العلاقة بين التربية وثقافة المرأة المسلمة المعاصرة:

يرى عفيفي، بأن الثقافة تكتسب من خلال التعلم والتدريب والممارسة في دوائر الحياة الاجتماعية منذ الولادة؛ بمعنى أنها تكتسب من خلال التربية، وفي الوقت نفسه

فإنها تمثل مصدرا أساسيا للتربية، حيث تستمد منها تصوراتها ومقاييسها. (محمد عفيفـــي، د.ت، ص ٣٧، ص ٦٧).

ويؤكد مرسي على أهمية نقل الثقافة إلى الناشئة من خلال التربية ضمانا لتحقيق نضجهم الكامل، وهو هنا يؤكد على التربية المقصودة، ويحذر من ترك الأمر للتلقائية؛ لأن ذلك لا يضمن اكتساب النشء للثقافة المرجوة، خاصة في ظل المتغيرات الكثيرة في الوقت الحاضر الذي أصبح فيه العلم وتطبيقاته يمثلان أداة كبيرة من أدوات التغيير. (مرسي، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ١٢٩-١٣٠).

مما سبق ندرك أن التربية السليمة للمرأة المسلمة المعاصرة لا تتم بعزلها عن الثقافات الأخرى؛ لأن ذلك أصبح أمرا غير ممكن بعد أن أصبحت ثقافات الأمم الأخرى تأتي إلينا في عقر دورنا بفضل ثورة الاتصالات الحالية، وإنما يحتاج الأمر أولا إلى تعميق قيم الأصالة في نفس المرأة المسلمة المعاصـرة، ثم إفساح المجال أمامها للتفاعل مع الثقافات الأخرى على بصيرة . فالتربية لابد أن توجه المرأة المسلمة المعاصرة إلى كيفية استثمار الجيد من ثقافات الآخرين، وترك الغث منه، وأن تعينها على امتلاك القدرة على مواجهة التحديات من خلال تهيئة الوسائل والظروف المناسبة لبناء شخصيتها بحيث تكون واعية وقادرة على تجاوز الواقع والإسهام في تغييره .

ويحدد طايل عددا من القيم العليا التي يرى بأنها لابد وأن تمثل العمود الفقري للثقافة وهي:

١- **الإيمـــان.**

٢- **العلـــم**: والأصل فيه أن يكون نافعا ما لم يحرم حلالا ولم يحل حراما.

٣- **العمـل**: وهو وسيلة إعمار الأرض، ويشكل مع العلم والإيمان ثلاثة ينبغي أن تكون مرتبطة مع بعضها، وهو وسيلة لطلب الرزق وشكر الله وامتثال أوامره، فهو عبادة، "..... ونظام التعليم يجب أن يقوم ـ إلى جانب تلقين المعلومات، وغرس القيم ـ بتنمية المهارات واكتشاف المواهب والقدرات، وترقيتها، فلا يخرج فرد من أية مرحلة من مراحل التعليم إلا وهو مؤهل لعمل ما يتناسب وإمكاناته الذهنية والجسمانية".

وبالنسبة للمرأة فإن إعدادها للعمل يكون بإعدادها لأداء مسئوليتها الأولى أولا، ثم تنمية مهاراتها بحيث تتمكن من العمل المناسب الذي لا يتعارض مع مسئوليتها الأولى،

ويقيها ذل الحاجة عند الضرورة.

٤- **تكريم الإنسان**: وتكريم المرأة لا يسمح بالارتداد عن الدين، ولا بالزواج من غير المسلم، ولا بالإجهاض أو الشذوذ الجنسي، ولا بالسفور والابتذال فهذه قيم غربية مستوردة من خلال الإعلام والتعليم.

٥- **وحدة الأمة الإسلامية**.

٦- **العـــدل**: ومعياره تطبيق شرع الله ومنهاجه في كل شئون الحياة، ومع الجميع.

٧- **الشـــورى**.

(طايل، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ١٠٩-١١٤).

فهذه هي القيم الأساسية التي يحددها طايل والتي يرى بأنه ينبغي **صيانتها**، وذلك في رأيه إنما يتم من خلال **ثلاثة أمور**:

١- **التكافل الاجتماعي**: بشقيه المادي والمعنوي. فالمادي يتمثل في الزكاة والصدقة والنفقة. والمعنوي يتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢- **الدعوة الإسلامية**: بالحكمة والموعظة الحسنة وذلك من خلال بث القيم الإسلامية وليس إعادة تصدير القيم الغربية إلى الغربيين وغيرهم، فوسائط الثقافة لابد وأن تهتم بعلوم الشرع، وتعرف متغيرات العصر ومزاج الشعوب.

٣- **الجهاد في سبيل الله**: وهو أمر مفروض على الأمة الإسلامية لامناص لها منه، "..... فالحرب الثقافية العالمية التي تدور رحاها الآن لن تهدأ حتى يحكم الله بين المتحاربين فيها، فيكون النصر للحق. وهي حرب - كما نشاهد - تنتهك فيها الأعراض والحرمات، وتسلب الثروة، وتتخطف الذرية، وتقاتل فيها حاملات الطائرات العملاقة أفراد الناس..... إلخ" (طايل، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م، ص ١١٤-١١٥).

ثالثا: وسائط تثقيف المرأة المسلمة المعاصرة:

تعددت اليوم الوسائط الثقافية بفضل الله ثم بفضل التقدم التقني والاجتماعي المعاصرين، وغدا لها من العمق والنفاذ وسرعة الانتشار ما يجعلها أقوى أثرا من التربية التقليدية.

وقد ذكر الرحال أن من أبرز وسائط الثقافة في العصر الحالي: **مناهج التربية والتعليم**

منذ مرحلة ما قبل الابتدائي وانتهاء بالتعليم العالي، و**الصحافة بكل لغاتها** وتوجهاتها السياسية والثقافية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية سواء المحلية أو المستوردة، و**الرائي بكل قنواته**، و **الإذاعة** بمختلف موجاتها، و **الأشرطة** (كاسيت وفيديو)، و**السينما والمسرح، والمتاحف، والمعارض** للفن والثقافة والمنتوجات وغيرها، و**الكتب** بجميع توجهاتها، و**الأحزاب** المعلنة وغير المعلنة، و**الجمعيات** رجالية ونسائية، دينية وعلمانية، و**المكتبات** ودور النشر والطباعة، و**الأندية** المختلفة، و**الحدائق** العامة.

فكل من هذه النوافذ يمكن توظيفها من أجل الإصلاح أو الإفساد، أو المزج بينهما. (الرحال، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٢٠١-٢٠٣).

فهذه الوسائط هي لتثقيف كل من الرجل والمرأة على حد سواء؛ لذلك فإننا نؤكد هنا على أهمية أن تعمل هذه الوسائط ضمن الإطار الأخلاقي للسلوك الإنساني الذي يترجم عن قيمة الإنسان باعتباره موجودا متميزا عن غيره من الموجودات في هذا الكون.

وهذا الكلام ينطبق على وسائط الثقافة بمختلف توجهاتها، لكن فيما يتعلق بتربية المرأة المسلمة المعاصرة، فإن الأمر يحتاج من وسائط الثقافة إلى التركيز على خصوصية المجتمع المسلم عند تناولها للقضايا المتعلقة بالمرأة من حيث الطرح والمعالجة؛ بحيث تعمل على إبراز دورها الحقيقي في المجتمع، وتوضح تناقضات المنطلقات في المجتمع الإسلامي في نظرتها إلى المرأة، وتوضح كذلك تداخلات العرف والشرع في تحديد هوية وحقوق ومسئوليات كل من الرجل والمرأة، وكيف أن ذلك قد أوجد حالة من اللبس الدائم بين الحديث عن المثاليات المرغوب فيها، وتجاهل الأوضاع الحقيقية التي تعيشها المرأة ا المسلمة المعاصرة في مجتمع له جذوره التاريخية والاجتماعية. فمثلا رأينا كيف أن تعليم المرأة قد واجه تخوفا وترددا في بعض المجتمعات الإسلامية، وكذلك الأمر بالنسبة لعمل المرأة ومشاركتها في الحياة الاجتماعية، حيث إن نظرة العامة تحذر منه وتؤكد أنه غير ضروري، وأن في خروجها تفكيك للأسرة، في حين أن الأمر يتعلق بالظروف المحيطة بكل حالة.

وأهم ما ينبغي على وسائط الثقافة أن توجه المرأة المسلمة المعاصرة إليه، يتمثل في الفروض الواجبة عليها في هذا العصر المليء بالتحديات.

ونجد حوي يشير إلى أن هناك **نوعين** من الفروض الواجبة على كل مسلم وهما:

١- **فرض الوقت**: وهو ما يجب على المسلم بسبب ظرف طارئ افترض الإسلام التعامل معه بنوع ما. مثلا إنسان يغرق؛ ففرض الوقت إنقاذه. (حوى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٥٠-٥١).

ونجد هناك كثيرا من فرائض الوقت في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأسرة، والجوار، لابد أن توجه وسائط الثقافة المرأة المسلمة المعاصرة إليها لكي تنبهها إليها وإلى أهمية أدائهـا، بحيث تنمي لديها الاتجاه نحو محاسبة النفس على التقصير فيها محاسبتها على التقصير في الفرائض الثابتة، والبداية الصحيحة تكون بتعليمها ما هي فروض الوقت في العصر الحاضر وكيفية أدائها.

٢- **فرض العصر**: من المعلوم أن فروض الكفاية هي عين في حق من تعين لها، فلا يستطيعها غيره. ونحن في عصر العلم والتقنية والمخترعات، فالمشاركة في هذه المجالات أصبحت في العصر الحاضر فرضا على المسلمين، في حين لم تكن كذلك في العصور السابقة، فهي مثال لفرض العصر. (حوي، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م، ص ٥١).

فينبغي على التربية أن توجه وسائط الثقافة لكي تعمل على تعريف المرأة المسلمة المعاصرة بأوجه الصراع بين الحق والباطل، وكيفية مواجهته، والإسهام في الدفاع عن الحق. وكل ما تحتاجه المرأة المسلمة المعاصرة من معلومات ومهارات واتجاهات في هذا الجانب فإنها تدخل ضمن فرض العصر.

وفيما يلي سوف نتحدث عن **أبرز الوسائط** التي ذكرناها سابقا وكيف تسهم في تربية المرأة المسلمة المعاصرة، ودور التربية في ترشيد عملها.

١- الكتب العامة:

يشير حسنة إلى الكم الهائل من الكتب التراثية والمعاصرة التي تملأ السوق والتي تجمع بين الغث والسمين. الأمر الذي يجعل من الصعب على النشء ذكورا وإناثا أن يختار من بينها إلا إذا قامت التربية بمسئوليتها في توجيهه إلى الجيد منها وذلك من خلال عرض دوري انتقائي لمجموعة من الكتب التراثية والمعاصرة التي تسهم في تكوين ثقافة المسلم بحيث تكون ثقافة عصرية.

ويضيف حسنة بأن من الواجب على التربية أن تحرص أيضا على انتقاء ما يترجم من كتب ومقالات، خاصة في ظل ما يحدث حاليا من ترجمات تعالج مشكلات المجتمعات

الأخرى التي يختلف واقعها عن واقع مجتمعاتنا. (حسنة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص٤٨).

٢- الكتب الدراسية:

يلاحظ على غالبية المناهج الدراسية في المجتمع الإسلامي أنها مشتركة بين الذكور والإنـاث، فهي تتغاضى عن الفروق بينهما ، وبذلك تربى المرأة بعيدا عن كيانها الأنثوي، إلى جانب أنها - وهذا هو الأهم - لا تعمل على تقديم فهم شامل للإسلام ولا للمنهج السليم لفهم الأحداث من خلاله. (الطايع في قضايا دولية ، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م، ع ٢١٤، ص ٣٠).

وهذا الأمر ينطبق حتى على مناهج المؤسسات الجامعية التي أسهمت في زيادة عدد المتعلمات فعلا، لكن ذلك لم يصاحبه تغيير في وعي المرأة بسبب ما أشرنا إليه سابقا من افتقادها للرؤية الإسلامية. بل إنه كثيرا ما تبطل بعض النظريات في مواطنها في حين نظل نحن غافلين عن ذلك، وندرسها لأبنائنا، خاصة في مجال علم النفس الذي نغفل فيه عن كثير من النظريات التي وضعها علماؤنا الأوائل وانتفع بها علماء الغرب، وتركت عليهم طابعها المميز، لكن مؤلفي الكتب لدينا ليس لديهم علم بذلك؛ لأنهم استراحوا إلى الترجمة باعتبار الغرب هو مصدر العلم الصحيح. (مجذوب، د.ت، ص ٢١٦).

والواجب عند إعداد المناهج الدراسية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ أن يتم أولا تحديد المعلومات الأساسية والمهارات والاتجاهات الواجب تقديمها للمرأة منذ بداية السلم التعليمي وحتى نهايته، ثم تختار أفضل الأساليب لتدريبها بما يمكنها من الحصول على المعرفة ذاتيا وبمجهوداتها الخاصة مع مراعاة أهمية التطبيق العملي للمعرفة المتحصلة، وبذلك تسهم المؤسسات التربوية إلى حد بعيد في إعداد المرأة المسلمة للعصر الذي تعيش فيه.

٣- الأسرة:

مازالت الأسرة المسلمة تمثل أداة مهمة في نقل الثقافة للنشء؛ خاصة فيما يتعلق بالقيم والأعراف والتقاليد. لكن مما يؤسف له أن هذا النقل يتم أحيانا دون مراعاة لمدى قرب الأعراف والتقاليد أو بعدها عن الإسلام.

ويؤيد ذلك عرابي حيث يشير إلى أن كثيرا من الأسر في مجتمعاتنا مازالت تعتبر الفتاة قاصرا مهما بلغت من العمر، وتربيها على الخضوع التام للأعراف والتقاليد، ولا تشجعها

على المبادرة والإبداع؛ مما يحبط لديها أية رغبة في المبادرة. (عرابي في المستقبل العربي، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ع ١٣٦، ص ٦٣-٦٤).

وتؤيده أيضا أميمة الدهان التي ترى بأن من بين المسلمين من لا يعترف بالتغيير باعتباره قانونا كونيا شاملا، خاصة فيما يتعلق بالمرأة؛ حيث يجمد على عوائده وأعرافه وتقاليده المتعلقة بهـــا. (الدهان في مؤتمر المرأة والتنمية..، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج٢، ص ٤٩٢).

فينبغي على المؤسسات التربوية أن توجه أفراد المجتمع الإسلامي إلى أهمية قيام الأسرة بوظيفتها في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يعينها على إخراج نفسها من وضع العبثية والتقليد والتخلف، لتتمكن من الإسهام في تغيير حال الأمة الإسلامية نحو الأفضل، مع التأكيد على أهمية توفير الرعاية الصحية للمرأة منذ الصغر بما يحقق أمنها النفسي، ويساعدها على إدراك مسئوليتها في تحقيق الخلافة وصولا إلى رضى الله سبحانه وتعالى.

٤- السينما والمسرح:

يلاحظ على السينما والمسرح تركيزهما على موضوعات معينة، تستخدم فيها المرأة من أجل الإغراء، وخاصة موضوعي الحب والجنس. فهما يهبطان بالمرأة عـن المستوى التكريمي اللائق بهـــا. والأمر يستدعي من التربية توجيه هاتين الأداتين إلى الموضوعات الأخرى المهمة في واقع الحياة إلى جانب ترشيد تناولهما للقضايا المثارة حاليا.

و أهم ما ينبغي على التربية أن تستفيد فيه من هاتين الأداتين؛ هو القدرة الكبيرة التي يمكن أن يسهما بها في العودة بالمرأة المسلمة المعاصرة إلى شخصيتها الإسلامية المفقودة في صفائها، وإزالة ما علق بها من تشوهات، وبعث الروح فيها من أجل مقاومة التحديات، ومعايشة العصر الذي تعيش فيه.

٥- الصحافة:

في حديثه عن العقل المسلم المعاصر، يشير حسنة إلى أن العقل المسلم المعاصر ما يزال بعيدا عن تقدير قيمة التخصص، متوهما أن الإنسان قادر على ممارسة كل شيء. وأن هذا القول ينسحب فيما ينسحب فيه على مجال الصحافة التي نجدها مفتقدة لأهل الاختصاص، حيث يلاحظ أن خطابها مايزال داخليا في معظمه، ولم يستطع الوصول بعد

إلى مرحلة الخطاب العام والعالمي. (حسنة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص ٤٢-٤٣).

وفيما يتعلق بالمرأة بخاصة؛ نجد عواطف عبد الرحمن تشير إلى أن الصحافة لم تستطع الوصول إليها من أجل تصحيح المفاهيم والتقاليد الخاطئة التي تسير عليها بالأسلوب السليم. (عواطف عبد الرحمن في مؤتمر المرأة والتنمية..، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م، ج٢، ص ٤١).

ومن ثم فإنه ينبغي على القائمين على شئون التربية أن يعملوا على توجيه الصحافة إلى أهمية تجاوز الموضوعات التقليدية خاصة ما يتعلق منها بالطبخ والتربية الأسرية الضيقة؛ إلى مجالات أرحب ، تتعلق بتحريك الفكر والاهتمام بالقضايا العالمية، وتوعية كل من الرجل والمرأة بأهمية استيعاب كلمة " شقائق " التي تجعل من مبادئ الإسلام منطلقا للتعامل بينهما، بحيث ينظر للمرأة باعتبارها كائنا إنسانيا ذا عقل وروح وقلب وقدرة على الارتقاء بالجنس البشري، وليس استمرار نوعه فقط.

كذلك ينبغي أن توجيه الصحافة إلى أهمية الإسهام في تصويب ما يشوب وضع المرأة المسلمة المعاصرة وممارساتها من أخطاء، وتوضيح المكانة المتميزة والخصوصية التي تتعلق بوضع المرأة في المجتمع المسلم للرأي العالمي، وكيف أن اختلاف العقائد سبب في اختلاف أساليب الحياة، وذلك لأن الملاحظ على الصحافة الغربية - كما أشارت الكاتبة فوزية الزواوي والتي تعمل في معهد العالم العربي بباريس - أنها " تصور المرأة العربية على أنها مازالت في حالة عبودية، مسجونة بين أربعة جدران، لا تعمل ولا تحتك بالناس." (الزواوي في مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٤٨٢، ص٨ ٤)

أيضا ينبغي على المؤسسات التربوية أن تسهم في إعانة الصحف والمجلات الإسلامية على التغلب على التحديات الكبيرة التي تواجهها، والتي تتمثل في الكم الهائل من الصحف والمجلات التي تحاول سلب فكرة المرأة المسلمة المعاصرة ودفعها باتجاه الغرب. وحيث إن هذه الصحف والمجلات تتفوق في طباعتها وإخراجها على الصحافة الإسلامية؛ فإن الأمر يتطلب من الأخيرة أن تبذل أقصى الجهود من أجل كسب إقبال وقناعة المرأة المسلمة المعاصرة بحيث تنبهها إلى حقيقة كونها صاحبة رسالة، تتطلب منها ألا تحصر نفسها ضمن الأسرة والأولاد؛ رغم أهمية ذلك، بل تسهم في ارتقاء الأمة من خلال الأنشطة المختلفة التي لا تتعارض مع مسئوليتها الأولى.

وهنا نؤكد على أهمية الاهتمام في تربية المرأة المسلمة المعاصرة بتأمين قدرتها على تحقيق التوازن بين واجباتها المختلفة بحيث تقدم الأهم فالمهم.

٦- الأقمار الصناعية (الرائي بكل قنواته).

أصبح الإعلام المرئي يمثل أهم وسيط للثقافة في عالم اليوم بعد الثورة التقنية في مجال الأقمار الصناعية، بل ويذكر د. مصطفى حجازي إلى أن هناك إعداد لظهور التلفاز المبرمج والمرتبط بالأقمار الصناعية، وإنتاج مادة إعلامية مرتبطة بالكمبيوتر الذي يحتوي عليه التلفاز، وكل ذلك سوف يقدم مادة مرئية لا حد لها، مما سيجعل للإعلام المرئي دورا كبير في التربية لا يجب إغفال أهميته. (همام في زهرة الخليج، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٥ م، ع٨١٢، ص ١٠).

ويشير حسنة إلى أن الإعلام اليوم قد أصبح علما له" مقوماته، ومعاهده، وشروطه، وتقنياته، ومتخصصوه، وفنا له مستلزماته، وأدواته "، كما أصبح ثمرة تشارك في إنضاجها جميع الحقول المعرفية، وتوظف لها أرقى الخبرات وترصد لها أكبر الميزانيات، وتغيرت وظيفته من مجرد التسلية والترويح؛ إلى توظيف ذلك في صناعة الأحداث وتشكيل العقول. (حسنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص ٣٧).

ويكفي في الدلالة على القوة التي أصبح الإعلام يشكلها في التأثير على مراكز صنع القرار؛ ما أشارت إليه مادلين أولبرايت - وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة - عندما كانت مندوبة الولايات المتحدة في الأمم المتحدة، والذي كرره الأمين العام السابق للمؤسسة بطرس غالي، بأن "مجلس الأمن يتكون من ستة عشر عضوا ، خمسة عشر عضوا من الدول الدائمة أو المنتخبة من الجمعية العامة، وأن العضو السادس عشر هو محطة ال CNN الإخبارية الدولية. " (الرميحي في العربي، ١٤١٧هـ /١٩٩٧م، ع ٤٦٠، ص٢٥).

وهناك ما يشير إلى أن تطور وسائل الاتصال سيتضاعف خلال السنوات السبع القادمة حوالي ٤٥مرة، وهو أمر له نتائجه على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية حيث سيعمل على تغيير كثير من الثوابت في عالم اليوم . (الرميحي في العربي، ١٤٧٩ هـ/ ١٩٩٧ م، ع ٤٦٠، ص٢٢).

وقد أصبح العالم اليوم يشهد حربا إعلامية بين دول تمتلك كافة الإمكانات، ودول

لا تمتلك شيئا، الأمر الذي يضع على عاتق التربية مهمة إدراك حقيقة ما تتميز به البرامج " الأخرى " من جذب وتشويق، والعمل على مواجهتها بشكل فاعل يسهم في ترسيخ قيمنا الإسلامية والمحافظة على هوية الأفراد في المجتمع المسلم وخاصة المرأة التي يتوجه إليها الإعلام بكل السبل الممكنة من أجل إلهائها عن حقيقة رسالتها في الحياة. وهذا ما تشير إليه نهى سمارة عند حديثها عن أجهزة الإعلام التي " تتوخى أكثر الطرق فاعلية في غسل دماغ الإنسان واستلابه وتغريبه، وبالتالي إلهائه عن موقعه ودوره في الحياة. والأجهزة الإعلامية المسموعة والمرئية كالتلفزيون والإذاعة هما الأكثر خطرا لأنهما يخاطبان النساء الأميات أو شبه الأميات فيؤثران على صورتهن ورؤيتهن لذواتهن "، في حين تستمع النساء إلى كل ذلك وهن مغمضات الأعين. (سمارة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٣٩).

ومما يؤسف له؛ أن القائمين على الإعلام في العالم الإسلامي لم يعدوا للأمر عدته، وإنما اكتفوا بعد فتح القنوات الفضائية باستيراد ما يملأ ساعات البث الطويل، التي نجد أن ٨٠٪ منها مستورد، في حين أن ٢٠٪ منها فقط هو من النوع المحلي الذي يحاكى المستورد في معظمه. ومن ثم أصبح شأننا في الإعلام استهلاكي قد ينتهي بنا إلى " لون من الارتهان الثقافي والحضاري؛ لأن الإعلام إنما يسهم بتشكيل الإنسان، وتحضيره لقبول المعلومة التي يريد دون أن يدع له الفرصة لفحصها واختبارها، لقبولها أو ردها. " (حسنة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٣٨).

وقد أخذ القلق العالمي يزداد من جراء تدهور الأخلاق الذي يسهم فيه البث العالمي إلى حد كبير بما يقدمه من مشاهد عنيفة، ومواد غير أخلاقية تتعارض مع ديانات وقيم وأعراف كثير من بلدان العالم. وهذا ما دعا ممثلي (٢١) دولة آسيوية إلى الاجتماع في طوكيو وفي مقدمتهم إلى جانب اليابان؛ الصين وكوريا الجنوبية وأستراليا وإندونيسيا، واتفقوا على مجموعة من القواعد العامة التي تستهدف محاربة برامج البث التلفزيوني العالمي المشار إليها، و قد أجمعوا على ضرورة احترام قنوات البث الفضائي لقيم وسياسات وثقافات الشعوب التي تستقبلها. (صلاح الدين في المدينة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ١١٧٠٦).

ويعلق الكاتب على هذا الخبر بإبداء أسفه لما يقوم به بعض "الإمعات " من أبناء المسلمين الذين يصرون على المضي والتجربة من جديد، والخوض فيما خاض فيه الآخرون

من عرض لأمور لا أخلاقيـة، دفعت بالغيورين إلى الغضب، حتى دعـا الكثيرون منـهم إلى منع صحـون الالتقـاط (الديشات) أو إلغائها (صلاح الدين في المدينة، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، ع١١٧٠٦)، وهو أمر - كما يقول بنسعيد - إن كان ممكنا اليوم؛ فإنه لن يكون كذلك في الغد القريب، بل وحتى التشويش لن يكون مجديا في المستقبل القريب، ومن ثم فإن الانغلاق أمر غير واقعي. (بنسعيد في الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٨٩١)

والحل الأمثل هو ما أشار إليه د. حجازي؛ والذي يتمثل في التزود بالتقنية، وتوفير الكفاءات البشرية المدربة، والتثقيف العام لأفراد المجتمع، إلى جانب المطالبة بحقوقنا كأوطان؛ في مراعاة الإعلام العالمي لحقوق المجتمعات المختلفة. (همام في زهرة الخليج، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٨١٢، ص ١٠).

وكما نلاحظ فإن للمؤسسات التربوية دورها الكبير في تحقيق ما دعا إليه د.حجازي من أمور، باعتبارها المعنية بإعداد كل من الفرد والمجتمع من أجل امتلاك التقنية المتقدمة، وهي التي توفر الكفاءات البشرية المدربة، إلى جانب إسهامها الكبير في التثقيف العام لأفراد المجتمع بأهمية المحافظة على التميز الذي خصهم الله سبحانه وتعالى به حين اختار لهم الإسلام دينا يشكل الإطار العام لدقائق حياتهم اليومية.

ولابد من توجيه القائمين على القنوات الفضائية إلى أهمية مواجهة البث الفضائي (الآخر) بخطط حضارية تتمتع بدرجة عالية من الوعي، بحيث تبتعد عما تقدمه حاليا من تفاهة وضحالة سواء في الجانب الفني أو الثقافي، وتستعيض عن ذلك بالفن الراقي والمناقشات الموضوعية حول مختلف المجالات التي تهم العالم الإسلامي بصفة عامة، والمرأة بصفة خاصة، بحيث تعمل على الارتقاء بوضعها نحو الأفضل، وتستخدم في ذلك أحدث الأساليب التي تجذب المشاهدات، وتمدهن بالمعلومات التي تمكنهن من الإحسان في اختيار ما يشاهدنه.

إن مهمة وسائل الإعلام لا تقتصر على مجرد بيان واقع الحال الذي تعيش فيه الأمة الإسلامية؛ بل ينبغي أن تكون له مهمة تربوية بنائية بحيث يحاول الارتقاء بالمجتمع إلى الآفاق المطلوبة، لأنه يمثل تعليما مستمرا وتربية مستمرة، ووسائله هي أدوات التنمية الحقيقية للأمة. (حسنة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص ٥٠).

ولذلك وجدنا المتخصصين الإعلاميين يضعون **ثلاثة مستويات** لابد للبرامج الإعلامية من مراعاتها حتى يتحقق دورها المنشود في التربية وهي:

١- **الانطلاق من العقيدة** والانضباط بالقيم الإسلامية والثقافة الإسلامية، مع العناية بالمضمون الاجتماعي والاقتصادي في التوجيه الديني، وتوصيله بأساليب جذابة مشوقة.

٢- تأتي بعد ذلك **التربية الوطنية** لتكمل التربية الإسلامية؛ وذلك من خلال تنمية الحس التاريخي وتطوير التفاعل بين بلدان العالم الإسلامي.

٣- ثم تأتي بعد ذلك **التربية العالمية** لتكمل المستويين السابقين على أساس أن البشر في المجتمع الإسلامى هم جزء من الإنسانية جمعاء التى تتقاسم وحدة المصير على الأرض. وهذا يتطلب الانفتاح على العالم والتواصل والمشاركة. (زهرة الخليج، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥، ع ٨١٢، ص ١١).

فالتزام الإعلام بتحقيق هذه المستويات الثلاث؛ سوف يسهم في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة للحاضر والمستقبل، في ظل من الأصالة الإسلامية، والمعاصرة للواقع المعاش.

لكن في ظل الإعلام الحالي فإنه ينبغي الاهتمام بتوجيه المرأة المسلمة المعاصرة لكي تكون إعلاما متحركا وفقا لأمر الله سبحانه وتعالى للفرد المسلم بقوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥].

وبدلا من تركيز اهتماماتها على الأكل والشرب ونحوه؛ لابد أن توجه التربية المرأة المسلمة المعاصرة إلى كيفية شكر الله بأداء حق السمع والبصر باعتبارهما أجهزة بث واستقبال للخير وهبها الله إياها، وسيحاسبها على كيفية استخدامها.

كذلك ينبغي على التربية أن تعمل على توعيتها بدورها الإعلامي من أجل الوقوف في وجه التحديات التي يواجهها الإسلام والمسلمون من قبل وسائل الإعلام الحديثة والمسيطرين عليها.

وفيما يلي سوف نشير إلى أهم الموضوعات المتعلقة بالمرأة والتي تركز عليها وسائط الثقافة؛ خاصة الإعلامية منها، ثم نتبع ذلك بالحديث عن أبرز الموضوعات التي ينبغي توجيه اهتمام المرأة المسلمة المعاصرة إليها حتى تتمكن من معايشة عصرها عن وعي وحسن إدراك.

رابعا: موضوعات واتجاهات تركز على تناولها وسائط تثقيف المرأة المسلمة المعاصرة:

من أبرز الموضوعات التي تركز على تناولها وسائط الثقافة في الوقت الحاضر ما يلي:

١- تعميم الثقافة الرأسمالية:

على العكس من العقيدة الإسلامية التي تعمل على إنشاء مجتمع إنساني عالمي مفتوح، يمكن لأي فرد أن ينضم إليه، بدون إكراه: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٦٥]، نجد الدول الغربية؛ مدفوعة بالقيم الرأسمالية؛ تحاول فرض هيمنتها وسيطرتها على الدول الأخرى.

ومحاولة فرض الهيمنة الغربية، تمثل نوعا من العصبية التي تطورت أشكالها عبر التاريخ من أسرية إلى قبلية إلى إقليمية إلى عرقية، وهذه يمثلها اليوم " الرجل الأبيض الذي يجبر الأعراق الأخرى للتنازل عن حرياتها وممتلكاتها ثم تتوسل إلى عواصم الغرب لتستعيد جزءا مما تنازلت عنه تحت اسم (المعونات والمساعدات)."(الكيلاني، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥ م، ص ١٦٣-١٦٤).

ونجد أن من أخطر نواتج الاستلاب الثقافي؛ الاعتقاد بعالمية الثقافة من قبل الناشئة ذكورا وإناثا، وهي فكرة تترسخ في أذهانهم نتيجة لغلبة الثقافة المهيمنة والترويج لها إعلاميا وتعليميا.

ومما يسر لحدوث ذلك؛ توقف العقل المسلم عن الإبداع مكتفيا بالاندفاع في تقليد الآخرين سواء كانوا آباء أم محدثين.

فمقلدي الآباء يحاولون محاكاة التاريخ الثقافي لكنهم عاجزون عن الإبداع والإفادة من ذلك للحاضر والمستقبل، بينما مقلدي المحدثين يميلون إلى استهلاك الجاهز الذي لا يد لهم ولا لأسلافهم فيه، مما يكرس التخلف ويجعلهم يؤمنون بعالمية الثقافة.

وهذه الفكرة إنما روج لها أصحاب الثقافة المهيمنة بغية صهر الثقافات الإنسانية في بوتقة الثقافة الغربية، وهو ما حاولوه قديما من خلال الاستعمار، وحديثا من خلال وسائل الاتصال. (الأشقر، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م، ص ٦٠).

والملاحظ في الوقت الحالي أن الثقافة الرأسمالية هي المسيطرة على غيرها، ونجدها تعمل جاهدة من أجل تشييء الإنسان، بحيث يصبح ذا بعد واحد، يتمثل في الجانب

المادي فقط. وقد باتت مهمة العلوم في الغرب، تذويب حرية الإنسان وفاعليته ليصبح ممتثلا طائعا، وذلك عبر وسائل الإعلام التي تواكب التطور الاقتصادي فتحول كل شيء إلى سلعة. فمثلا نجد التلفاز ينطلق من مبدأ التسلية ليخاطب الجانب غير الناضج لدى البالغين، وهو ما نلاحظه من الانخفاض التدريجي للمستوى الثقافي لبرامجه، مما سبب لدى الجمهور طفولة يسرت التلاعب بهم من خلال الدعايات التي لا تهدف إلا إلى تسخيف وعي الإنسان وإغراقه في الملهيات التي تحول حياته إلى لا معنى. (أبو شعيرة في قضايا دولية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٢٨٦، ص ٢٥).

ويؤكد ذلك بيجوفيتش الذي يسم الثقافة الجماهيرية[1] بالصبيانية التي تجعل الإنسان المعاصر يتصرف بطريقة طفولية تتفق مع المستوى العقلي للمراهقة الذي يتسم بـ " تسليات مبتذلة، غياب روح الفكاهة الأصيلة، الحاجة إلى أحداث مثيرة ومشاعر قوية، الميل إلى الشعارات الرنانة والاستعراضات الجماهيرية والتعبير عن الحب والكراهية بأسلوب مبالغ فيه، اللوم والمدح المبالغ فيهما، وغير ذلك من العواطف الجماهيرية القاسية ". (بيجوفيتش، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ١٠٩).

وفيما يتعلق بمجال المرأة بصفة خاصة؛ نجد وسائط الثقافة - وخاصة وسائل الإعلام تنقل مظاهر المساواة في العالم، " وإن كانت ذات صبغة بورجوازية في أحيان كثيرة "، وتنقل كذلك ممارسات الجنس غير الشرعي، والحب قبل الزواج.... إلخ، وغير ذلك من الأمور التي تتصل بعالم آخر لا تعيشه المرأة المسلمة المعاصرة، ومن ثم يتولد عن هذا التناقض بين المشاهد والمعاش؛ أن تثور المرأة وتشعر بالغبن فتندفع لتطالب هي الأخرى بالمساواة. (بوعلي ياسين،١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م، ص ١٧٢).

ومن الوسائل التي ابتكرها الغرب من أجل فرض نظمه وقيمه وثقافته على المستوى العالمي؛ المؤتمرات الدولية والتي تتمثل حصيلتها في تثبيت السيطرة الغربية عالميا في جميع المجالات، وذلك من خلال ما ينبثق عنها من اتفاقيات ووثائق ملزمة.

---

(١) يفرق بيجوفيتش بين الثقافة الجماهيرية والثقافة الشعبية، فهو يرى بأن الثقافة الشعبية " أصيلة، حية ومباشرة وبريئة من البهرجة ومن الأعمال الأدبية والفنية الهابطة، وهي تقوم على الإجماع والمشاركة من قبل الجميع. بينما تقوم الثقافة الجماهيرية على التلاعب، فبرامج التلفاز مثلا، وكذلك برامج وسائل الإعلام الأخرى الجماهيرية كلها، إنما هي في الحقيقة وسائل للتلاعب بالجماهير، حيث نجد معدي البرامج فئة قليلة من الناس، بينما هناك ملايين المشاهدين السلبيين. (بيجوفيتش، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ١٠٦-١٠٧).

(شبيب في قضايا دولية، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ع٣٠٠، ص ٤٧).

وقد عقدت في السنوات الأخيرة سلسلة من هذه المؤتمرات التي تستهدف الأسرة بصفة عامة والمرأة بصفة خاصة، والتي استهدف الغرب من خلالها فرض مفاهيمه وقيمه على العالم " خاصة حضارات الجنوب والحضارة الإسلامية على وجه الخصوص. " (عمارة في مؤتمر المسكن في المسلمون، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٦٧).

ومما دعا د. عمارة وغيره إلى تأكيد استهداف القيم الإسلامية بهذه المؤتمرات؛ ما حدث في مؤتمر بكين وغيره من تركيز للعداء ضد الإسلام.

يقول د. عمارة:

" على الرغم من أن العالم مليء بفلسفات وتيارات فكرية لا تتفق مع مؤتمر بكين، إلا أن العداء من قبل المشاركات كان مركزا ضد الإسلام؛ لأنه يمثل النموذج المعادي بعمق لكل هذه التيارات المعادية للقيم الإنسانية... " (عمارة في مؤتمر المسكن في المسلمون، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٦٧).

ويقول السيد ولد أباه:

إن " مؤتمر بكين إن هو إلا حلقة في سلسلة من المؤتمرات [1] التي تحاول الدول الغربية من خلالها أن تمد النموذج الغربي إلى الفضاءات الحضارية التي كانت مغلقة عنه وممتنعة عليه. " (ولد أباه في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٣٠).

ومما يؤسف له أن الأفكار المزخرفة والشعارات المقنعة التي تعول عليها هذه المؤتمرات؛ قد وجدت طريقها إلى فكر عدد غير قليل من مسلمات الوقت الحاضر، حتى وجدنا من بينهن من تتبع الغرب وتتبنى أفكاره لتنال حقوقها التي كفلها لها الإسلام وحرمها منها المجتمع الجاهلي المعاصر، لكنها ضلت الطريق بسبب وعيها الزائف بحقيقة وضعها ومكانتها في الإسلام.

ولهذا وجدنا كثيرات من المسلمات يجارين الغربيات في الحملات الظالمة ضد الإسلام وضد الشريعة الإسلامية على اعتبار أنها قد ظلمت المرأة وأعطتها مكانة أقل من الرجل.

---

(١) من المؤتمرات المقصودة بالحديث: مؤتمر السكان بالقاهرة، ومؤتمر كوبنهاجن للتنمية الاجتماعية، ومؤتمر فينا لحقوق الإنسان، (مؤتمر المسكن في المسلمون، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٦٧)،(ولد أباه في الشرق الأوسط ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٣٠).

تقول أماني أبو الفضل، وهي إحدى المشاركات في مؤتمر بكين من جمهورية مصر العربية:

" مؤتمر بكين حضره حوالي ٤٠ ألف امرأة من جميع أنحاء العالم بينهن أكثر من ٧٠٠٠ مسلمة من العالم العربي، نصفهن جاء بهدف مهاجمة الشريعة الإسلامية والتشهير بها وطلب الحماية من غير المسلمين. " (مؤتمر المسكن.. في المسلمون،١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٦٧).

ومن هنا تبرز أهمية توعية المرأة المسلمة المعاصرة من خلال وسائط الثقافة المختلفة؛ بالبديل عن هذه الأفكار والشعارات الزائفة، وذلك بتوضيح مكانة المرأة في الإسلام الذي جاء من أجل تحريرها تحريرا حقيقيا حين جعل منها إنسانا سويا مكرما له مهمة محددة تتمثل في تحقيق الاستخلاف في الأرض.

إن هذه المؤتمرات وغيرها من وسائل مهاجمة الإسلام لتدعونا - كما يقرر د. عمارة - إلى رفض الانعزال " فالمسلمون يقرب عددهم من ربع تعداد البشرية، والإسلام يمثل نصف المتدينين بالديانات السماوية، والإسلام يقدم البديل لتحرير المرأة تحريرا حقيقيا يجعل منها إنسانا سويا يقوم بالاستخلاف. فالرفض نصف الفضيلة، لكن الفضيلة كاملة تتمثل في البديل الحقيقي.."

ونحن لا ننكر أن لدينا مشكلة للمرأة، حيث توجد لدينا تقاليد تمثل قيودا على المرأة ليست من الإسلام في شيء، والفارق بيننا وبين الغربيين " أننا نريد تحرير المرأة وفقا للنموذج الإسلامي ليس تعصبا للإسلام، وإنما لأن هذا النموذج هو الذي يمثل التحرير الحقيقي ويقدم نموذجا لسعادة المرأة والرجل في ذات الوقت." (عمارة في مؤتمر المسكن في المسلمون، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٦٧).

ونحن حين نقف هذا الموقف من أمثال هذه المؤتمرات، لابد وأن نشعر بالعزة والمنعة التي نستمدها من قيمنا الموجهة لنا في اتخاذ هذا الموقف، الذي هو ذات الموقف الذي وقفه المحافظون من أصحاب الديانات الأخرى. ففيما يتعلق بمؤتمر بكين خاصة، وقف رجال الدين المسيحي من الأرثوذكس والبروتستانت إلى جانب المسلمين وغيرهم من الجماعات المحافظة في العالم التي عارضت قرارات المؤتمر بشأن القضايا التي تعمل على تدمير الأسرة وقواعد الأخلاق من خلال محاولة إضفاء الشرعية على كل ما هو حرام وشاذ، كإعطاء المرأة مطلق الحرية في ممارسة الجنس، وفي تحديد النسل، وفي الإجهاض، وغيرها

من الأمور التي تأباها الفطرة السليمة. (ولد أباه في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م،ع ٦١٣٠).

ويعلق السيد ولد أباه على موقف رجال الدين والمحافظين بقوله:

"..... ويوضح لنا موقف الدول الغربية وغيرها من الدول المحافظة،كيف أن الخير والشر في صراع دائم، كما يشير ذلك إلى حاجة العالم المعاصر إلى المؤمنين لكي يتصدوا بالخير لتيار الشر الجارف الذي يوشك أن يعصف بالعالم المعاصر. (ولد أباه في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م،ع٦١٣٠).

٢- الفن والفنانون:

موضوع الفن أو مجال الفن هو أحد ميادين الانهزام أمام الحضارة الغربية، وذلك لأنه بات يصوغ أفكار الناس وأذواقهم، وميولهم واتجاهاتهم العقلية والنفسية والخلقية والاجتماعية والسياسية. (القرضاوي،١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ، ص ٢٥).

ونجد وسائط الثقافة وخاصة الإعلامية تعمد إلى عرض قضايا المرأة بصورة تخالف ما هي عليه في الإسلام؛ فتعدد الزوجات مستحيل، والزواج الثاني فاشل دائما، وزوجة الأب ظالمة على الدوام، وكذلك زوج الأم.

كما نجد الحديث عن المرأة لا يعبر عن واقع الحياة، بل غالبا ما ينطلق من واقع الآمال والأحلام، ومن ثم تحرم المرأة المسلمة المعاصرة من أن تعي دورها الطبيعي، وبدلا عن ذلك ترتبط حياتها بشخصيات نساء السينما والمسرح والتلفاز وغيرهن سواء عن قصد أو غير قصد، ومن ثم تعمد إلى تقليدهن في كل شيء .

وهكذا تصبح المرأة - إلا من رحم الله - تابعة لمن يحملن أسماء إسلامية، وهن لا يعرفن معنى الإسلام، ممن نجدهن حتى في المسلسلات الإسلامية؛ يقدمن صورة مشوهة لا تمثل المرأة المسلمة لا من قريب ولا من بعيد. فالمرأة الساقطة؛ أصبحت هي المثال الذي تحذو حذوه المرأة المسلمة المعاصرة - إلا من رحم الله - في الهيئة، وتصفيف الشعر والأزياء.... إلخ.

ويلاحظ أن الفن الهابط كان ولا يزال عبر التاريخ الإنساني، يمثل أحد أهم الأساليب التي تستخدمها المجتمعات الجاهلية من أجل تحطيم الحصون الأخلاقية

وإفساد الضوابط الفطرية للنفس الإنسانية؛ وذلك بما تزينه للناس من شهوات، بأساليب تدفعهم إلى الانجراف وراءها، وفي ذلك يقول سيد قطب:

"..... كل هذا من سمات الجاهلية الهابطة التي جاء الإسلام ليطهر المشاعر البشرية والمجتمعات البشرية منها. وهي هي بعينها سمة كل جاهلية.. والذي يراجع أشعار امرئ القيس في جاهلية العرب يجد لها نظائر في أشعار الجاهلية الإغريقية والجاهلية الرومانية... كما يجد لها نظائر في الآداب والفنون المعاصرة في جاهلية العرب والجاهليات الأخرى المعاصرة أيضا، كما أن الذي يراجع تقاليد المجتمع، وتبذل المرأة، ومجون العشاق، وفوضى الاختلاط في جميع الجاهليات قديمها وحديثها يجد بينها كلها شبها ورابطة، ويجدها تنبع من تصورات واحدة وتتخذ لها شعارات متقاربة.

ومع أن هذا الانطلاق البهيمي ينتهي بتدمير الحضارة، وتدمير الأمة، إلا أن الجاهليين لا يتعظون بما حدث لمن سبقهم من أمم سرت مسراهم منجرفين وراء حرية وهمية هي في حقيقتها عبودية للميل الحيواني وانتكاس إلى مرتبة البهائم، بل أضل، لأن الحيوان محكوم بقانون الفطرة الذي فطر عليه، في حين أن الإنسان، قد وهب العقل ليرتقي بنفسه التي كرمها خالقها.

وبذلك ندرك عظمة الإسلام في حرصه على حماية الإنسان من تدمير نفسه من خلال ما فرضه من عقوبات على الفاحشة، كما ندرك عظم الجرم الذي تقوم به الأجهزة التي تعمل على تزيين الفاحشة وإشاعتها تحت مسميات الفن والحـــرية والتقدم.... "(سيد قطب، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، مج١، ص ٦٠١-٦٠٣).

ومن ثم فإنه ينبغي على وسائط الثقافة أن تهتم بإبراز الصورة الحقيقية للمرأة المسلمة، وأن تعمل على توعية المرأة المسلمة المعاصرة بدورها في تحسين وضعها وتحسين وعيها بذاتها؛ وذلك لأن مما يؤسف له أن من يعملن في الفن من النساء توجد من بينهن كثيرات ممن نلن قسطا لا بأس به من التعليم، الأمر الذي يؤكد أن المرأة المسلمة المعاصرة تتحمل جزءا كبيرا من المسئولية تجاه التشويه الذي لحق بصورتها.

٣ - المرأة جسد:

أصبحت المرأة في الوقت الحاضر سلعة تباع وتشترى، وذلك ملحوظ من خلال إقحام صورتها في كل شيء. ونجد وسائط الثقافة قد أسهمت في الاتجار بها وذلك من

خلال صورها العارية أو شبة العارية في الأفلام والمسلسلات والمجلات والإعلانات وغيرها.

ففي مجال التمثيل مثلا، نجد أنه لا يكتفي فقط بالنظر إلى المرأة باعتبارها جسدا يعمل على جذب الجمهور، بل إن اختيار الممثلاث وأجورهن يتناسب مع درجة إثارتهن، وما يمكن أن يظهرنه في هذا الصدد من فنون، بل وحتى المذيعات نجدهن يقدمن كشكل جميل، في حين أن المضمون هو بيد المعد أو المخرج. (عبد المعطي في مؤتمر المرأة والتنمية..، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١، ج٢، ص ٧٤١).

وتؤكد البحوث أن المرأة، ونتيجة للنشاط الاستهلاكي لوسائل الإعلام، قد أخذ يستقر في وجدانها أنها مجرد جسد جميل لابد من إظهار مفاتنه، وهذا ما جعلها تشعر بالاغتراب عن أدوارها الإنسانية، فبقيت قانعة بدورها كدمية جميلة[1] . (سمارة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ١٣٤-١٣٥).

وقد أدى حرص بعض وسائط الثقافة - وخاصة الإعلامية منها - على تقديم كل ما يؤجج الغريزة بين الجنسين؛ إلى معاناة الشباب من الضغوط النفسية في ظل الصعوبات التي تكتنف الزواج، ومن ثم فلا مجال للتنفيس إلا من خلال تقليد ما يشاهدونه، مما أدى إلى تشكيل العلاقات بين الجنسين على غير الوجه الشرعي، وهكذا استحالت بيوت كثيرة إلى جحيم، وأصبحت الخيانة بين الزوجين من الأمور الشائعة. (الرحال، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٢١٦).

فينبغي الاهتمام بتوعية المرأة المسلمة المعاصرة من خلال وسائط الثقافة بما يبعدها عن جعل الجنس الشغل الشاغل لها؛ لأن للفرد المسلم تبعات أخرى، إضافة إلى أنه لا يجوز للمرأة - أيا كانت ديانتها - أن تعرض نفسها لتكون ملهاة لذوي الشهوة؛ لأنها عند ذاك سوف تكون كما يقول الأستاذ محمد قطب " كالحارس الذي يدعو الناس لسرقة ما يحرس من مال)، حيث إن عرضها أمانة لديها "(محمد قطب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج١، ص ١١٥).

---

(١) يعتبر بيجوفيتش الفن الإباحي والكتابات الداعرة جرائم مقننة لأن القائمين بها لا يفكرون فيما يرضي الله حينما يعدونها، خاصة وأنه قد وجد أن فيلما داعرا أرخص في إنتاجه من الفيلم العادي بعشر مرات، في حين أن أرباحه تزيد عن أرباح الفيلم العادي بعشر مرات. (بيجوفيتش، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٢٠٢).

خامسا: موضوعات واتجاهات ينبغي أن تسلط وسائط تثقيف المرأة المسلمة المعاصرة الضوء عليها:

من الأمور المؤسفة في عصرنا الحالي؛ أن عامة المسلمين قد ألفوا النظر إلى المرأة على أنها قاصر، ولها مهمة محددة، ومن ثم فإنها لا تحتاج إلى أن تخاطب فكريا أو ثقافيا، لأنها في الغالب غير مدركة لحقيقة الأمور.

وقد أدى ذلك إلى تفشي الأمية وشيوع الدجل والخرافة، خاصة في الأوساط الجاهلة. وهؤلاء قد غفلوا عن أن الخطاب القرآني موجه إلى الناس جميعا بما فيهم العامي والأمي، حيث إن التكليف لم يحدد بمواصفات ثقافية، أو مستوى تعليمي، بل هو عام وشامل لكل مكلف، وهو الإنسان البالغ، العاقل، إلى جانب أنه ميسر للذكر لأي إنسان أيا كانت درجة ثقافته. (العلواني، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص ٧٤-٧٥).

ونجد أن غيبة التوجه الإسلامي لوسائط الثقافة في المجتمع الإسلامي؛ قد أسفر عن تمكن الثقافات الأخرى من اختراق المرأة المسلمة المعاصرة، وإفقادها لذاتيتها دون أن تشعر، الأمر الذي جعلها تنجرف وراء الأفكار والشعارات البراقة المخادعة كما أسلفنا. ويلاحظ أن وسائط الثقافة في المجتمع الإسلامي بصفة عامة تفتقر إلى الدراسات والمعلومات الجادة فيما يتعلق بالمرأة حيث اقتصر اهتمامها على توجيه المرأة إلى واجباتها الأسرية الضيقة فقط.

وقد أشارت أمة العليم السوسوة وكيل وزارة الإعلام بجمهورية اليمن، إلى ذلك في أثناء حديثها عن وسائل الإعلام التي نجدها تقصر اهتمامها بقضايا المرأة على الواجبات الأسرية ولا تتعداها إلى العلاقات الأسرية التي أصبحت ضعيفة في الوقت الحاضر، الأمر الذي يناقض وظيفتها في التنوير والإرشاد، إلى جانب أنها تعزل المرأة عن قضايا المجتمع حين تركز الاهتمام على الأمور الشخصية للمرأة. (لقاء مع أمة العليم السوسوة في المرأة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦).

ومن أجل العودة بالمرأة المسلمة المعاصرة إلى ذاتيتها المفقودة، وأصالتها، فإنه ينبغي على وسائط الثقافة المختلفة أن تقوم بدورها التربوي على أكمل وجه سواء من حيث الأساليب أو الوسائل أو الموضوعات التي ينبغي عليها أن تراعيها في توجهها للمجتمع المسلم بصفة عامة، وللمرأة المسلمة المعاصرة بصفة خاصة.

وفيما يلي عرض لبعض الموضوعات والاتجاهات التي ترى الباحثة أنه ينبغي على وسائط الثقافة أن تعمل على توعية المرأة المسلمة المعاصرة بها، وتوجهها إليها؛ حتى تتمكن من فهم الواقع الذي تعيش فيه وتعايشه بما يحقق مرضاة الله أولا، ثم الإسهام في تغيير المجتمع الإسلامي نحو الأفضـــل.

١-تصحيح الأفكار والعادات والتقاليد الخاطئة المتعلقة بالمرأة:

إن النظرة الفاحصة إلى حقيقة الظلم الذي حاق بالمرأة المسلمة عبر التاريخ؛ تشير إلى أنه يكمن في الأفكار والعادات والتقاليد الخاطئة التي ما أنزل الله بها من سلطان، والتي توجه عقول أفراد المجتمع توجها معينا نحو المرأة ؛ فيه تهوين من شأنها، وتقليل من أهميتها ودورها في الارتقـــاء بالمجتمع.

ومن بين هذه الأفكار والتقاليد:

أ) النظر إلى المرأة من خلال الجنس وإنجاب الأطفال:

فالملاحظ في المجتمع الإسلامي بصفة عامة تركيز الاهتمام على دور المرأة في حفظ النوع البشري دون الارتقاء به، وهذا ما جعل الاهتمام بها ينصب على مظهرها الخارجي وقدرتها على الإنجاب بالدرجة الأولى .

ويشير عبيد إلى أن اعتبار المرأة مجرد أداة للمتعة والإنجاب قد دفع بالمرأة إلى تركيز الاهتمام على مظهرها الخارجي؛ ولذلك بالغت في الاهتمام بجسدها على حساب روحها، و انعكس أثر ذلك على سلوكها إزاء ما يواجهها من ابتلاءات، ومن ذلك العقم الذي نجده في غالب الأحيـــان "... يجعل حزنها عميقا.. حيث يصبح مركزها مزعزعا وعرضة للطـلاق لأن التبعـة غالبا تقع عليها.." (عبيد في المستقبل العربي، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م،ع١٣٦، ص ٦٢).

ونجد هذه الأفكار تدعم في ذهن المرأة من خلال وسائط الثقافة المختلفة، ومن ذلك الأمثال الشعبية التي تجرى على الألسنة وتستقر في الأذهان بسرعة، ومنها قولهم (اللي ما لوش ولد عديم الظهر والسند) (عبيد في المستقبل العربي، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م،ع ١٣٦، ص ٦٠).

وكذلك من خلال **الأحاديث الضعيفة والموضوعة** التي رويت على أنها من قول الرسول ﷺ، ومن ذلك:

- (الحصير في ناحية البيت خير من امرأة لا تلد) قال الحافظ العراقي: ولم أجده مرفوعا.

- (لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، وقال الألباني: إنه ضعيف.

- (تخيروا لنطفكم وانتخبوا المناكح وعليكم بذات الأوراك فإنهن أنجب) أورده ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية. (القيسي، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ١٦٥).

ب- الزواج المبكر:

فالملاحظ أن المرأة في بعض البيئات الإسلامية -خاصة في الريف- مازال تزويجها يتم مبكرا جدا، بل أحيانا ما يتم قبل البلوغ.

ويشير عبيد إلى أن بعض البيئات تعمد إلى تزويج الابن مبكرا من أجل إحضار (خادمة) لأهله، أو (عاملة) زراعية، حيث ينظر للمرأة أنها مكسب، وأن ما يدفعه من أجلها (حلال).(عبيد في المستقبل العربي،١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م،ع١٣٦، ص ٦١).

وللتربية دور مهم في ترشيد الاتجاه نحو الزواج المبكر باعتباره توجيها نبويا كريما حث عليه الرسول ﷺ لما يوفره للمجتمع من استقرار، لكن لابد من الاهتمام بإعداد الفتاة لمسئوليات الزواج حتى تحسن في أدائها على أكمل وجه.

ج- تأكيد تفوق الرجل:

فهناك كثير من الأفكار التي تنظر إلى المرأة على اعتبار أنها أقل منزلة من الرجل، وأنها كائن ناقص عاجز، وشيطان رجيم، وعورة ينبغي سترها.... إلخ (عبيد في المستقبل العربي،١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م،ع ١٣٦، ص ٦٢)، وأنها أصل البلايا وسبب شقاء الرجل، ونجد هذه الأفكار تروج من خلال الأحاديث الضعيفة والموضوعة ومنها:

- " الشباب شعبة من الجنون والنساء حبالة الشيطان " قال الألباني: إنه ضعيف.

- " طاعة المرأة ندامة " قال الألباني: إنه ضعيف.

- " كن من خيار النساء على حذر " ليس بحديث.

- " أعدى عدوك زوجتك التي تضاجعك، وما ملكت عينيك ". قال الألباني: إنه ضعيف.

- " للمرأة ستران القبر والزوج: قيل: وأيهما أفضل؟ قال: القبر ". رواه الطبراني في المعجم الكبير والصغير وهو موضوع.

- " موت البنات من المكرمات " ليس بحديث.

(القيسي، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ١٦٠-١٦٤).

د- تحديد دور المرأة باعتبارها ربة بيت وزوجة فقط:

فهذه الفكرة مازالت سائدة في كثير من البيئات الإسلامية التي نجدها تغرس في ذهن البنت منذ الصغر قيمة الزواج باعتباره (المستقبل) الذي ينتظرها، والذي يجب أن تعد له مبكرا. ويشير عبيد إلى بعض أساليب غرس هذه الفكرة في الأذهان ومنها الدعاء للبنت بالستر " الله يوعدك بابن الحلال " وكيف أنه إذا ما تأخر زواج البنت فإنها تصبح " بائرة ". (عبيد في المستقبل العربي، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م، ع١٣٦، ص ٦٢).

ونجد أن العنوسة صفة تطلق على البنت في بعض البيئات - خاصة الريفية - إذا ما جاوزت العشرين دون زواج، الأمر الذي ينعكس أثره سلبيا على نفسية البنت فتميل إلى الانزواء والانطواء والحزن.

كما نجد أن سيطرة هذه الفكرة -الزواج- على أذهان الأهل؛ تجعلهم يغفلون أهمية التعليم في إحسان إعداد المرأة لدورها الذي ينشدونها له، إذ يعتقدون بأن الزوج لا يحتاج إلا إلى امرأة مطيعة، وجسد جميل، ومن ثم يتم التركيز على إعدادها لتكون مؤهلة للقيام بذلك.

هـ - عدم الاعتراف بدور المرأة الإنتاجي:

فالكثيرون - حتى من المثقفين - ينظرون إلى المرأة على اعتبار أنها تمثل نصف المجتمع، لكنه نصف معطل، حيث لا يعتبرون لإسهاماتها داخل المنزل أي أثر على الاقتصاد في المجتمع.

٢- التعريف بحقيقة الدعايات بمختلف أنواعها:

أصبحت الدعاية في العصر الحاضر فنا له مختصوه، وله وسائله التي يمكن لمن يحسن استخدامها أن يصل إلى القلوب والعقول بأيسر الطرق.

وللتربية دورها الكبير في توجيه وسائط الثقافة إلى أهمية تعريف المرأة المسلمة المعاصرة بهذا الفن واستخداماته وحقيقة الأفكار التي تروج من خلاله.

ونجد الدعايات تستخدم حاليا للأغراض التجارية وغيرها، ومن بين هذه الأغراض:

أ) الترويج للبضائع:

فالدعايات تستخدم من أجل ترويج البضائع بغرض الاستهلاك، وهذا الأمر يستهدف به جميع أفراد المجتمع، لكن ما ينبغي أن تنبه إليه المرأة المسلمة المعاصرة؛ هو الصورة غير اللائقة التي لا تتناسب مع أهمية المرأة ودورها في المجتمع، والتي تحرص الدعايات عمدا على إظهار المرأة بها بغية ترويج البضائع من خلال مخاطبة الجانب غير الناضج لدى المتلقين.

كذلك ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ تحذيرها من خطورة الانغماس في الدنيا والسقوط تحت سيطرة الإغراءات المادية ونسيان الآخرة، وأهمية العمل في الدنيا بغرض الوصول إلى أعلى الدرجات في الآخرة.

ولابد من توجيه وسائط الثقافة إلى أهمية توعية المرأة المسلمة المعاصرة بأساليب الترويج التي منها ما هو غير أخلاقي، حيث لوحظ أن من بين أصحاب الشركات المنتجة من يعمد إلى ترويج بضائعه من خلال تحذير المتلقين من منتجات أخرى، وذلك عن طريق بث إشاعات وحكايات لا أساس لها من الصحة، كأن يقال مثلا: إن نوعا من أنواع الكريم يخدش الجلد ويشوهه..... أو يتسبب في حدوث أمراض معينة على المدى الطويل... وهكذا.

وهذا الأسلوب يستخدم كثيرا في العصر الحاضر وهو إنما يشير إلى " تجارة الخوف " التي أصبحت تستخدمها عشرات القطاعات بدءا بالأغذية والمشروبات ومواد التجميل، وانتهاء بالأدوية وغيرها من المنتجات التي تمس حياة غالبية البشر. وذلك إنما ينبهنا إلى مقدرا التشويه الذي لحق بإنسانية الإنسان في ظل الحضارة المادية المعاصرة التي أبت بعض النفوس المريضة التي تحيا في ظلالها إلا أن تعيش على حساب تسويق الذعر بين أبرياء يقعون ضحايا، يتلاعب بعواطفهم بسبب قلة معرفتهم. (اللاذقاني في الشرق الأوسط، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، ع٦٢٠٠).

ب- ترويج أفكار مضللة عن الشعوب الأخرى:

لا يقتصر استخدام الدعايات في الوقت الحالي على مجال التجارة فقط، بل ينسحب استخدامها حتى على مجال العلاقات بين الشعوب أيضا؛ حيث نجد أنه في الوقت الذي يتواصل فيه إعجاب الغالبية لدينا بالغرب، يتواصل فيه أيضا احتقار غالبية الغربيين لكل ما يمت للإسلام والمسلمين بصلة.

ففي السينما مثلا، تقترن الكوفية والعقال غالبا بمناظر مشينة. (كلمة عربي أو مسلم.. في " المسلمون، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٥٨).

وقد غفل المسلمون عن خطورة الدعاية السوداء المضادة على مصالحهم وسمعتهم، والتي تمثلت في الحملات الثقافية ضد العرب والمسلمين، وترتب على ذلك أن أدت هذه الحملات غرضها في تشبع الغربيين بها، مما أسفر عن الانتهاك السافر لحقوق المسلمين والنيل من سمعتهم واعتراض مصالحهم.

ولا أدل على ذلك من الاستطلاع الذي أجري في أسبانيا عن مكانة الأجناس البشرية في نظر الرأي العام الأسباني، حيث جاء الجنس العربي في ذيل التصنيف (الركابي في الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٩٩٦)، ولذا وجدنا وسائل الإعلام وغيرها تسارع إلى قذف العرب والمسلمين بأبشع التهم ودون تمحيص عندما حدث التفجير في (أوكلاهوما) (الركابي في الشرق الأوسط، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، ع٥٩٩٦)، ووجدنا أيضا الفرنسيين يلاحقون المهاجرين العرب عقب التفجيرات التي حدثت في فرنسا، حيث عمدوا إلى توقيف العرب اعتمادا على ملامح الوجه فيمن يشتبه في أنهم عرب مهجرين. (طاهري في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٤٩).

وفي بريطانيا نجد هناك بيانات تنشر عبر أجهزة الفاكس تتضمن إشارات من شأنها زرع عقدة الخوف لدى المواطن البريطاني تجاه الإسلام، وتحمل انتقادات حادة للحكومة في تركها المسلمين وعدم إنذارهم بمغادرة البلاد طوعا، ومنها ما يعتبر المسلمين سببا للحرب في (يوغوسلافيا) السابقة، وتحذر من أنهم سيكونون سببا للعنف في بريطانيا. (المسلمون، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٥٢٦).

ومما يؤسف له أن تشترك في شن هذه الحملات الظالمة بعض وسائط الثقافة في الدول الإسلامية سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، ومن ذلك ما تقوم به بعض قنوات التلفاز في

تركيا، حيث تعمد إلى تقليد منطلقات الإعلام الغربي بغرض تحقيق الربح المادي، فتنشر إعلانات فيها تعتيم على الحقائق، وتزييف للوقائع؛ بغرض تشويه صورة الإسلام من أجل كسب جمهور المراهقين، وتسيء بذلك إلى المصلحة العامة من أجل كسب مؤقت. (إلياس في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م، ع٦٠٩٣).

وهنا يكمن الدور التربوي لوسائط الثقافة بحيث تعمل على تنمية الوعي لدى جميع أفراد المجتمع الإسلامي - بما فيهم المرأة - بخطورة الإعلام المضاد على كيان الأمة، وأهمية الحذر حتى لا يكونوا ضحايا للدعايات الكاذبة التي تسعى إلى إلصاق ما هم برآء منه من التهم بهم.

ج- الترويج للأشخاص:

وهذا الأسلوب تستخدمه وسائط الثقافة في المجتمعات المختلفة بغرض تحقيق أهداف معينة من وراء إبراز أشخاص ذوي انتماءات حزبية أو مذهبية معينة، وإغفال غيرهم.

ومن بين أبرز الأشخاص الذين برزت أسماؤهم، والذين عمل الغرب على الترويج لهم في الآونة الأخيرة من المسلمين؛ تسليمة نسرين وسلمان رشدي، اللذين عمدا إلى الهجوم على الدين الإسلامي من خلال كتاباتهما.

فتسليمة نسرين هي طبيبة بنغلادشية كتبت رواية أسمتها (العار)، أشارت فيها إلى ظلم المسلمين لغير المسلمين في بلادها، وإلى ظلم المسلمين للمرأة المسلمة، فخرجت المظاهرات تطالب برأسها بعد صدور فتوى باستحلال دمها (عبد المجيد في العربي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٤٤٣، ص ٩٢)، وهربت الكاتبة إلى فرنسا، وتصدرت قضيتها أمهات القضايا التي يعيشها العالم، حيث خصصت كبريات الصحف والمجلات في جل الدول الأوروبية أغلفتها لها، وراحت شبكات التلفاز العالمية تتسابق لإجراء مقابلات معها، ثم ترجمت روايتها الوحيدة (العار) إلى عدة لغات. وعلى الرغم من سطحيتها وعدم جودتها فنيا باعتراف جل النقاد والقراء، إلا أن الحفاوة بصاحبتها قد تضاعفت من قبل الزعماء، كما سارعت اللجان المختصة إلى منحها جوائز عالمية مثل جائزة برلمان الاتحاد الأوروبي، وجائزة سخاروف وغيرها، وأصبحت نسرين عضوة بارزة في البرلمان العالمي للكتاب إلى جانب كبار الكتاب والمفكرين.

أما سلمان رشدي فقد كتب قبل ذلك رواية بعنوان " الآيات الشيطانية " استهزأ فيها من الرسول ﷺ، وقد أهدرت الحكومة الإيرانية دمه، وأثار الأمر ضجة كبرى في الدول الغربية التى حفته بالدعايات الضخمة وبالدعم غير المحدود، ودافعت عنه ضد الحملات التي واجهته في الدول الإسلامية. (يحيى، د.ت، ص ٥).

ونجد الأمر نفسه يحدث في بعض بيئاتنا الإسلامية حيث تعمل وسائط الثقافة على الاحتفاء بالكتاب والشعراء والأدباء من أصحاب اتجاهات معينة كما أشرنا، وتغفل غيرهم، حتى أصبحت شهرة الأديب - كما يقول خلدون الشمعة - يصنعها الإعلام وليس عدد القراء. وقد ضرب مثالا لذلك بأدونيس والبياتي اللذين لا تدل شهرتهما على حجم استثنائي؛ بقدر ما تؤكد أن " النجومية ظاهرة يصنعها الإعلام دون أن تكون لها علاقة بتوزيع الكتاب أو رواجه الحقيقي. " (الشمعة في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦٠٩٣).

ويدخل ضمن ذلك أيضا التجاهل الذي يلقاه الأدباء والمفكرون الإسلاميون بصفة عامة من غالبية وسائط الثقافة في غالبية الدول الإسلامية، في حين يحتفي بهم من قبل ذوي الاهتمام في الدول الغربية، وقد أشار إلى ذلك(سوسكا)، الباحث في كلية الدراسات الإنسانية بجامعة بون، في حديثه عن الاهتمام الذي يحظى به الأدب الإسلامي، والكتاب والروائيين وأدباء الثقافة الإسلامية، من قبل العديد من الباحثين والروائيين والدارسين في أوربا، وكيف أنهم يحظون بشهرة واسعة، ولمؤلفاتهم انتشار واسع هناك. (عبد الرحمن في المستقلة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٨٣).

فينبغي على وسائط الثقافة أن تهتم بتوعية أفراد المجتمع الإسلامي - والمرأة بخاصة - بحقيقة الدعايات التي تصاحب المشاهير من الأدباء والمفكرين وغيرهم، والدوافع التي تقف وراء الاهتمام بهم، بما يمكنها من التمييز بين الأصالة والضحالة في الفكر والأدب.

فالاهتمام بسلمان رشدي وتسليمة نسرين مثلا؛ إنما مرده الصورة الخاطئة التي يحملها غالبية الغربيين عن الإسلام والمسلمين، وقد أكد ذلك كثير من المفكرين والأدباء والساسة الغربيين، ومن بينهم سوسكا الذي قال: " وجدت في مصر؛ ما يؤكد أن صورة المسلمين التي يبثها الإعلام الأوروبي خاطئة تماما، وللوحدة الأوروبية عامل مساعد في تشجيع العنصرية، التي هي ليست في ألمانيا كما في غيرها. (عبد الرحمن في المستقلة، ١٤١٦

هـ/ ١٩٩٥ م، ع٨٣).

وفي لقاء أجري مع وزير الثقافة الفرنسي (جاك توبو)؛ سئل عما إذا كانت الطريقة التي تعامل بها نسرين كبطلة ضد التخلف الإسلامي هي الطريقة الصحيحة في مثل هذه الأمور؛ فأجاب بأن الموضوع لم يكن يستحق كل ما حدث من عداء واضح للإسلام والمسلمين، خاصة وأن كل مثقف حقيقي يعرف سماحة الإسلام. (عبد المجيد في العربي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٤٤٣، ص ٩٢).

وهذا ما أكدته الكاتبة الألمانية (شيميل)؛ التي نالت جائزة الكتاب الألماني على كتاب لها عن الحضارة الإسلامية حيث قالت في حفل تسلمها الجائزة ما نصه: " إن امرأة تركية فقدت خمسة من أولادها في حريق عنصري متعمد في مدينة ألمانية عام ١٩٩٣م، ولكن هذه المرأة لا تشعر بكراهية للألمان، وهذا يجسد تسامح الإسلام الذي عرفته لعشرات السنين. " (المسلمون، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٥٩).

وفيما يتعلق بقضية نسرين، فقد حدث أن قامت مجلة (فولوس) في ميونيخ، بإجراء حوار بينها وبين جمهور عريض من المثقفين والكتاب والصحافيين، حول قضيتها، وحول الأصولية، وحول الأدب بصفة عامة، وبنهايته؛ اكتشف أغلبهم سطحية ثقافتها، وجهلها التام بالإسلام الذي تدعي معرفته، ثم بدأت وسائل الإعلام الألمانية تتحفظ في الحديث عنها. ولما قام المعهد الأكاديمي ببرلين بدعوتها لمدة عام كامل؛ ثار غضب العديد من المثقفين الألمان، وقام أحد الصحفيين [١] بكتابة مقال قدم فيه " جملة من الحجج والبراهين التي تثبت إثباتا قاطعا، أن تسليمة نسرين لم تكن في أي يوم من الأيام كاتبة ذات شأن، ولا مثقفة بالمعنى الحقيقي للكلمة، ولا مناضلة صادقة وكل ما في الأمر أنها لجأت إلى الحيل والأكاذيب للحصول على المال والشهرة في بلاد الغرب".

وقد حمل الكاتب على وسائل الإعلام الغربية، وخاصة الألمانية، واعتبرها مسئولة بالدرجة الأولى عن " هذه الفضيحة المخجلة "، حسب تعبيره، وأورد ما يشير إلى أن وضع المرأة في بنغلادش مغاير تماما للصورة التي قدمتها نسرين، سواء من خلال كتاباتها،

(١) هو الكاتب الألماني المعروف بوركارد مولر أولريخ، وقد تصدر مقاله الملحق الأسبوعي لجريدة (السوديشة زايتونج) في ٢٤ سبتمبر ١٩٩٥م. (المصباحي في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ع٦١٦٦).

أو أقوالها. وفي خاتمة مقاله؛ طالب المعهد الأكاديمي بمراجعة قراره بخصوص دعوتها، وطالب المؤسسات الثقافية بمقاطعة نسرين " التي تسببت في واحدة من أكثر الفضائح الأدبية التي عرفها العالم في أواخر هذا القرن! " (المصباحي في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٦٦).

وتقول آخر أخبار الكاتبة: إن مبيعات روايتها قد وصلت إلى حوالي نصف مليون نسخة في فرنسا وحدها. ويعبر إبراهيم عبد المجيد عن دهشته حيث أصبحت الكاتبة " سجينة للإعلام الغربي أكثر مما هي سجينة للفتوى... بقتلها " حيث صرحت مؤخرا عن رغبتها في " تغيير بعض آيات القرآن الكريم " ويعلق على ذلك بقوله:

" وهكذا انزلقت السيدة تسليمة نسرين تحت ضغط الإعلام، فبعد أن كانت كاتبة تنادي بالمساواة بين الناس في كل الأديان، وفي الدين الواحد، صارت تناطح الدين نفسه، وهذه هي المأساة.. "(عبد المجيد في العربي،١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م، ع ٤٣٣، ص ٩٢).

لهذا فإنه ينبغي على التربية أن تستخدم وسائط الثقافة من أجل توضيح أساليب الغرب في استخدام أمثال هؤلاء الكتاب، وإثارة أمثال هذه القضايا من أجل التصدي للإسلام وللصحوة الإسلامية في ديار المسلمين، وهذا ما يشير إليه محمد يحيى في حديثه عن سلمان رشدي وروايته التي تتصف بتفاوت كبير بين ظاهرها وباطنها، فهي ظاهرة بالدعاية الضخمة التي وقفت ورائها، وبالضجة التي أثيرت حول كاتبها، والدفاع عنه من قبل الحكومات الغربية، والهجوم الذي شن عليه من الجانب الإسلامي، في حين هي مختفية من حيث كونها نصا أدبيا ثقافيا.

والكتاب إنما يعبر عن ظاهرة موجودة في الغرب، وفي بعض الدول الإسلامية؛ وتتمثل في تسخير اللغة الأدبية من أجل التصدي للإسلام، والصحوة الإيمانية. والاهتمام بهذه الرواية هو نفسه السبب في الاهتمام بنجيب محفوظ، وروايته أولاد حارتنا وغيرهما من الأفلام والمسلسلات والمسرحيات، التي تعالج ما يسميه الغربيون والعلمانيون بمشكلة التطرف الديني والذي يقصد به الدين الإسلامي وحده. (محمد يحيى، د.ت، ص ٥).

ويؤكد هذا الموقف المعادي للإسلام من قبل الغربيين؛ الهجوم العنيف الذي شنته

بعض الصحف الفرنسية على الطاهر بن جلون، حينما أراد الاحتجاج على التكريم المبالغ فيه الذي حظيت به نسرين، والذي لا يتناسب مع حجمها ككاتبة، وقد بالغت الصحف في الهجوم عليه إلى درجة اتهامه بالانحياز للأصوليين. (المصباحي في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٦٦).

كذلك ينبغي استخدام وسائط الثقافة المختلفة من أجل توضيح التناقض والازدواجية التي يتعامل بها الغرب مع قضايا المسلمين ومصالحهم. فهم يستميتون في الدفاع عن نسرين ورشدي وأمثالهما، في الوقت الذي يصمتون - أو يعينون - تجاه ما يلحق المسلمين في أنحاء العالم؛ من ظلم على أيدي أعدائهم.

ويشير إلى هذه الازدواجية المثقف الأسباني خوان غويتسولوا بقوله: " لقد لاحظت - كما لاحظ غيري - تعبئة كبيرة من أجل دعم سلمان رشدي... ولكنني..... لم أقرأ أية مقالة مكتوبة من طرف نفس هؤلاء الكتاب الذين دافعوا عن سلمان رشدي فيما يتعلق بمسلمي البوسنة، وهذا أمر جعلني أحس بصدمة. " (لقاء مع غويتسولوا في المستقلة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع٨٤).

وهو يرى بأن السبب الأساسي في هذه التناقض العجيب إنما يرجع إلى السلطة التي يتمتع بها أهم وسيط من وسائط الثقافة في هذا العصر، وهو الإعلام، حيث نجده يقول ما نصه: " في العالم الذي نعيش، نلحظ أن دور الفعاليات الثقافية والفكرية يتراجع لأن هناك سلطة جديدة ضاغطة، ويتعلق الأمر بسلطة الإعلام وخاصة الإعلام المرئي والمسموع..... ". (لقاء مع غويتسولوا في المستقلة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع٨٤).

د- الترويج المغرض لبعض المصطلحات:

عمد الغربيون في سعيهم من أجل تشويه صورة الدين الإسلامي، والإساءة لسماحته واعتداله إلى إقامة جدار فاصل بين أفراد شعوبهم الغارقة في المادية، وبين تذوق عظمة الإسلام. فكان من بين الأساليب التي استخدموها لذلك؛ الترويج لبعض المصطلحات بغرض إحداث التأثير النفسي السلبي تجاه الإسلام والمسلمين لدى المتلقين الغربيين. ومن بين هذه المصطلحات التطرف Extremism ، والأصولية Fundamentalism ، والإرهاب Terriorism.

فهذه الكلمات وغيرها مما يروج له من مصطلحات لها معانيها، وملابساتها التاريخية

والاجتماعية والثقافية لدى الغربيين وسوف نمثل لذلك بمصطلحي الأصولية والإرهاب.

١- الأصولية:

هذا المصطلح يحمل لدى الغربيين معنى " التجمد العقلي ورفض التجديد، وهو مصطلح (نصراني أوروبي) له ملابساته الاجتماعية والثقافية والتاريخية ". (طايل، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٩٦)

وكما هو واضح؛ فإن هذا المصطلح لا علاقة له أبدا بالمسلمين. وبالنظر في تاريخنا ندرك ذلك يقينا حيث لم نعرف لهذا المصطلح أصلا لدينا، لكن الغربيين بسبب تحاملهم على الإسلام والمسلمين، يرون في كل صورة من صور الاعتزاز بالإسلام والامتثال لأحكامه ضربا من الأصولية التي لابد من محاربتها والقضاء عليها. وقد أشار إلى ذلك أنور إبراهيم نائب رئيس الوزراء ووزير المالية في ماليزيا بقوله:

"... كانت لي مناقشات مع بعض قادة الناتو[1] كجزء من عملي. والمحزن في هذا الأمر أنه لم تكن هناك أية محاولة لفهم، أو إدراك مشكلات العالم الإسلامي إلا من خلال نظرتهم إلى الإسلام وتحاملهم عليه، فكل ما هو إسلامي بالنسبة لهم يعتبر أصوليا، والحالة الإسلامية بالنسبة للسياسي الغربي هي التطرف بعينه ". (حوار مع أنور إبراهيم في المستقلة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٧٦).

ولهذا وجدنا كثيرا من الساسة والمنظرين الغربيين، يحذرون من الأصولية الإسلامية ويدعون إلى مواجهتها.

يقول ويلي كلاس أمين عام حلف الأطلسي: " إن الأصولية الإسلامية لا يمكن

---

(١) نسبة إلى حلف الناتو أو حلف شمال الأطلسي، وهو معاهدة تتوفر بمقتضاها قيادة عسكرية موحدة للدفاع المشترك عن ١٦ دولة غربية، وتم تأسيسه عام ١٩٥٠ م / ١٣٧٠ هـ بوساطة الدول المتحالفة بموجب معاهدة شمال الأطلسي التي نهضت بأعباء دفاعها المشترك عن ١٦ دولة غربية ضد أي هجوم محتمل من الاتحاد السوفيتي السابقة، وتقع رئاسة المجلس في بروكسل ببلجيكا. (الموسوعة العربية العالمية، ١٤١٦ هـ /١٩٩٦م، ج٩، ص ٤٧٨).

وصفها إلا أنها أخطر من الشيوعية ". (سلطان في مجلة البيان، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٨٨ ، ص ٧٣).

ويقول نيوت جنجرتش، زعيم الكونجرس الأمريكي: " إن على أمريكا رسم سياسة واستراتيجية شاملة لمواجهة الخطر الإسلامي. " (سلطان في مجلة البيان، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، ع٨٨ ، ص٧٣).

ونجد زيجينو برجنسكي، مستشار الأمن القومي السابق للرئيس الأمريكي؛ يعترف بأن" الغرب يخشى بالفعل التوجهات النظرية والأصولية للعالم الإسلامي، ويسعى إلى تشويه سمعته إلى أقصى حد.." (المسلمون، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٥٩).

وقد تعدى الأمر مجرد القول إلى الفعل، حيث وجدنا قادة الصرب يقولون على رءوس الأشهاد: " إننا نمثل سدا لأوروبا المسيحية أمام المد الإسلامي الذي تمثله جمهورية البوسنة والهرسك " ووجدنا كذلك فرانسوا ميتران يسر في أذن بيجوفيتش عبارته الشهيرة " لا تظن بأننا سنسمح بإقامة جمهورية (أصولية)!! في قلب القارة الأوروبية..!! " (الدعوة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ع ٤٧، ص ٩).

وقد بذل الغرب كل جهده من أجل تحقيق ذلك كما شاهدنا وسمعنا.

وكما أشرنا قبلا فإن الغرب لا يخلو من المثقفين والمفكرين العقلاء ممن يزنون الأمور بموازينها، ويدركونها على حقيقتها، ومن بينهم غويتسولوا الذي يفرق بين الرؤية الأصولية للدين، وبين تطبيق هذه الفكرة بواسطة العنف حيث يقول في ذلك ما نصه:

" الأصولية في نظري ظاهرة عالمية فهناك أصولية هندية (تهدم المساجد وتهاجم الديانات الأخرى)، كما هنالك أصولية يهودية يمثلها المتطرفون والمستوطنون اليهود في الأراضي المحتلة، كما هنالك أيضا أصولية إسلامية .

ولكن ما يجب في نظري هو أن نضع تمييزا وتفريقا بين رؤية أصولية للدين وبين تطبيق هذه الفكرة بواسطة العنف. يجب وضع هذه الحدود بصفة واضحة، ففي أوروبا لا

تراعى هذه الحدود بصفة واضحة. إذن فكل واحد يمكن أن تكون له رؤية خاصة للدين وللثقافة وللحضارة، لكن لا يمكنه فرضها على الآخرين بالقوة والعنف، وبذلك يجب نبذ التيارات المتطرفة ".

وهناك أخيرا مسيحية أرثوذكسية توجد بالأساس لدى بعض الصربيين، وهي رهيبة، كما ظهرت في حملات التطهير العرقي التي مورست ضد المسلمين إبان الحرب الأخيرة.

فالحديث كثيرا عن الأصولية الإسلامية رغم أن هناك أصوليات كثيرة، فأعتقد أنه يجب الحديث عنها كلها." (لقاء مع خوان غويتسولوا في المستقلة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٨٤).

ومن ثم فإنه ينبغي على التربية أن تستخدم وسائط الثقافة في تعريف أفراد المجتمع الإسلامي والمرأة بخاصة؛ بالمفهوم الحقيقي للأصولية، وكيف يمارسه الغربيون واليهود ضد المسلمين، وأثر تلك الممارسات على المجتمعات الإسلامية، وخاصة المرأة التي عانت كثيرا من الاضطهاد والتعذيب على أيدي المتطرفين من اليهود وغيرهم.

٢- الإرهاب:

هذه الكلمة صدرها الغرب إلينا كما فعل مع غيرها. وقد كانت تطلق في السبعينيات من هذا القرن على المنظمات التي تمارس العنف ضد الأفراد والمنشآت والطائرات.. إلخ، للمطالبة بمطالب سياسية معينة، كمنظمة (إيتا) التي تعمل على انفصال إقليم الباسك[1] عن أسبانيا، كما أنها استخدمت أيضا، وبصفة خاصة للدلالة على أعمال النضال للفصائل الفلسطينية. (طايل، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص ٩٦).

---

(١) **إقليم الباسك**: يقع على الحدود بين فرنسا وأسبانيا، وكان سكانه ينقسمون إلى مجموعات محلية أو يحكمهم الفرنسيون أو الأسبان. وقد طالبوا بحكومة منفصلة منذ أواخر الستينيات، وتسبب ذلك في انتشار العنف، ومنحتهم الحكومة الأسبانية حكما ذاتيا عام ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م (الموسوعة العربية العالمية، ١٤١٦ هـ/ م١٩٩٦ م، ج٤، ص ٦٤).

لكن وفي أواخر الثمانينيات؛ استخدمت هذه الكلمة في وصف الإسلام بصفةعامة، وذلك من خلال إساءة فهم المعنى الذي يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠]، حيث عمد الغرب إلى فصل الكلمة عن سياقها، وسخر كل إمكاناته من أجل محاربة "الإرهاب" الذي يقوم به المسلمون من قبل المجتمع الدولي كافة. وفي ذلك يقول طايل:

" إن هدف التحالف الغربي الصهيوني من استخدام كلمة (إرهاب) في غير موضعها الصحيح، وتسخير وسائل الإعلام العالمية للترويج لفكرة (التعاون) الدولي من أجل محاربة الإرهاب، هو بمثابة حرب نفسية، وإلقاء لطعم سام، يكون من نتائجه أن ينفر المسلمون من واحدة من أعظم آي القرآن الكريم وأجمعها، كما أن استخدام هذه الكلمة هو بمثابة التكنية عن إعلان الحرب على الإسلام والمسلمين، دون استخدام ألفاظ مستفزة، فهو ردع للأمة الإسلامية عن طريق (الشك والغموض). (طايل، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٩٦).

ولم يكتف الغرب بالأسلوب الثقافي والنفسي للردع، وإنما عمد أيضا إلى استخدام أسلوب الاستعداء المباشر والمعلن، ومن الأمثلة على ذلك:

- تصريح رئيس إسرائيل السابق (حاييم هرتصوغ) في مطلع عام ١٩٩٣م / ١٤١٤ هـ، حين قابل رئيس وزراء بريطانيا السابق (جون ميجور) حيث قال ما نصه: "إن التشدد الإسلامي قد أصبح يهدد بزعزعة السلام العالمي ".

- الاتفاق بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في إطار ما سمي بـ (غزة / أريحا أولا) على محاربة ما سمي بـ (الإرهاب الإسلامي).

(طايل، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٩٧-٩٨).

ومما يؤسف له أن كثيرا من القادة والمفكرين والإعلاميين قد انساقوا وراء هذه الدعوات فوجدناهم يؤيدون ويساندون الغربيين في محاربتهم لـ (الإرهاب الإسلامي)،

ويطلبون الدعم من أجل ذلك، غير مدركين لخطورة ذلك على واقع المجتمع الإسلامي والمتمثل في " تحويل طاقة التدافع الكامنة في النفس البشرية - كما خلقها الله تعالى ومنحها هذه الخاصية - إلى داخل المجتمع، بدلا من أن توجه إلى دفع العدو الخارجي.. فتسود الفوضى...) (طايل، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٩٩).

فالواجب يحتم توضيح أثر هذه الدعوات على المجتمع الإسلامي بصفة عامة، وعلى المرأة المسلمة بصفة خاصة والتي أصبحت في العصر الحاضر، وفي كثير من بقاع العالم تواجه من العنت والاضطهاد الشيء الكثير بسبب هذه الدعوات وأمثالها. وأبرز ما تواجهه يتمثل في المناداة بتركها للحجاب واعتباره رمزا من رموز الإرهاب.

ففي فرنسا انفجر الغضب على الإسلام والمسلمين بسبب الحجاب، الذي رأت فيه فرنسا رمز تحد للحضارة الفرنسية. وهذا ما دعا (فيليب جونزاليس) رئيس وزراء أسبانيا إلى التعبير عن دهشته عبر التلفاز، حيث صرح: " بأنه مندهش لما يجري في فرنسا حول مشكلة ارتداء الحجاب الإسلامي، إذ كيف تستطيع ثلاث فتيات يرتدين هذا الحجاب، أن يعرضن للخطر الهوية الفرنسية. " (محمد الغزالي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ١١٩ - ١٢٠).

وفي إقليم كيبك الكندي، حيث يكثر العرب والمسلمون؛ عمدت وسائل الإعلام العالمية والكندية إلى الربط بين الحجاب وأعمال العنف، مما دعا منظمة الدفاع عن حقوق الإنسان في كيبك في دراسة لها بعنوان (التعددية الدينية في كيبك تحد اجتماعي)، إلى الدفاع عن حق الطالبات في ارتداء الحجاب في المدارس، ولم تر فيه أي سبب للادعاء على مرتديته بأنها (إرهابية)[1]. (المسلمون، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٢٦)

بل نجد الأمريكي المسلم لويس فراخان [2] بعد أن زار عددا من الدول الإسلامية، يعرب عن رأيه في الإرهاب، ويرد التهمة إلى مروجيها بقوله:

---

(١) يجدر بالذكر الإشارة إلى أن غالبية سكان هذا الإقليم ينحدرون من أصل فرنسي. (المسلمون، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٢٦).

(٢) زعيم جماعة أمة الإسلام بأمريكا.

" إنني عائد الآن إلى أمريكا وأعود وأنا على وعي وإدراك تامين بأنه ما من بلد آخر جلب على مختلف الأنظمة السياسية في العالم عنصر الاضطراب وعدم الاستقرار مثلما فعلت أمريكا ووكالاتها الاستخبارية.

فمسألة تعيين الإرهاب هذه تعتمد على من الذي يتهم من وما الموضوع.. إن أمريكا هي الآن بمثابة القوى العظمى فهي تبعا لذلك تدعي لنفسها الحق في تصنيف الدول الصغيرة بمثل ذلك التصنيف... فتسمها بالإرهاب. ولكن أمريكا هذه لو دمغها الآخرون بالإرهاب الآن أو في أي وقت كان، فهل تقبل أن تخضع لقوة القانون؟

لقد دمغت أمريكا الدول الأخرى بالإرهاب كالسودان وليبيا، وسوريا، وهي ليست إرهابية إلا إذا صنف دفاعها المشروع لتحرير شعوبها وتحقيق سيادتها بأنه إرهاب. "(لويس فراخان.. في مجلة الشاهد، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ع١٠، ص ٢٠-٢١).

٣- الغزو الثقافي:

في حديثه عن الوضع المستقبلي للتردي الذي نعيشه اليوم، يقول ضياء الدين سردار: " إننا أصبحنا الآن وإلى حد كبير، تبعا لمستقبل حضارة أخرى أجنبية. إن عملية استعمار المستقبل قد بدأت. فدارسو المستقبل الغربيون لا يتعبون أبدا من تكرار أننا نسير نحو حضارة واحدة ذات مواصفات وخواص غربية. وفي هذه الحضارة العالمية، ستكشف المجتمعات غير الغربية شكلا من التبعية العضوية، والاسترقاق الثقافي لم يشهد لهما التاريخ مثيلا). (الجابري، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٢١).

ونحن اليوم نعيش في عصر تحاول فيه الدول الأخرى فرض (هيمنتها الثقافية) من أجل إحداث هذا (الاسترقاق الثقافي) للشعوب الأخرى، مستخدمة في ذلك كل ما لديها من إمكانات ووسائل وأجهزة ومعلومات.

" وهذا ما أوضحته (الإستراتيجية الأمريكية بعيدة المدى) التي أطلق عليها (البديل الديموقراطي)،.. وهذا ما لخصه الرئيس الأمريكي السابق (بيل كلينتون).. في تصريحه يوم تنصيبه رئيسا في ٢٠ يناير ١٩٩٣م، حيث قال ما نصه: " إن أمريكا تؤمن بأن قيمها صالحة لكل الجنس البشري، وإننا نستشعر أن علينا التزاما مقدسا لتحويل العالم إلى

صورتنا To transfer the world into our image " (طايل، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، من ص ٨-٩).

ويشير طايل إلى أن القيم الأمريكية المقصودة هي " القيم الليبرالية (اليهودية / النصرانية) التي صيغت ونمت في أوروبا إبان ما يسمونه (عصر النهضة)، وانتقلت إلى أمريكا مع المهاجرين، فازدادت إغراقا في المادية والتحلل الخلقي والعدوانية " (طايل، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٩).

ويعمد المروجون للثقافة الرأسمالية الغربية إلى القول بأن تعميمهم لها؛ إنما هو من باب التفاعل الثقافي، فقد جاء في الإعلان النهائي للمؤتمر العالمي الذي نظمته اليونسكو عام ١٩٨٢م / ١٤٠٢ هـ ما نصه: "..... جميع الثقافات جزء لا يتجزأ من التراث المشترك للإنسانية، وإن كل الثقافات متساوية في إطار الكرامة..." (الأشقر، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٢٣).

وهؤلاء حين يروجون لذلك لا يفرقون بين التفاعل الثقافي والغزو الثقافي:

فالتفاعل الثقافي: يكون بين جانبين ندين، بحيث يعطي كل منهما ويأخذ بوعي، واختيار، وفقا لمعايير مدروسة ويحتفظ في الوقت نفسه بهويته وقيمه. وهذا أمر مطلوب ومشروع لدينا.

أما الغزو الثقافي: فيكون من قبل طرف قوي لآخر ضعيف، حيث يأخذ الأخير ولا يعطي، وذلك من أجل ضمان أخذه لما لا يحتاج إليه أو ما لا ينفعه.

(القرضاوي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٢٤٤).

ونجد أن التقنية الحديثة، وبفضل انتشار المعلومات ووسائل نشرها، تعمل على اختراق الحدود القومية، مهددة بذلك الاستقلال الثقافي للأمم لتصبح الحدود وهمية.

وهي تحاول أن تعمم نموذجها الغربي للإنسان الذي يصفه أبو شعيرة بأنه "....إنسان غير قادر على التحرر وتغيير قدره، فإرادته وهويته مجرد كومة من اللحظات التلفزيونية المتتابعة المفرطة في السرعة والتكثيف. وذاكرته معطوبة بالكامل ليس فيها سعة للتفكير والتأمل والفهم والتركيز وحتى للخيال، فكل شيء من هذا القبيل يقدم له على شكل وجبة جاهزة وممتعة.. " (أبو شعيرة في قضايا دولية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٢٨٦، ص ٢٥).

فمستخدمو هذه الوسائل إنما يحاولون اختزال الإنسان إلى مجرد غرائز وشهوات، من أجل ضمان (استرقاقه) وعدم تحرره، وذلك يمثل " طغيانا " من نوع جديد حيث يعمل على إذلال الناس ودفعهم إلى الانحطاط دون ألم. وتنسحب هذه السلطة على المجتمعات النامية - بما في ذلك المجتمعات الإسلامية - مشكلة غزوا ثقافيا يجعلها تدفع ضريبة مزدوجة، ويحدث ذلك من خلال تقديم وسائط الثقافة للمتلقي **نموذجين متلازمين**:

الأول: يمثل نمط الحياة الغربية - الجنة الموعودة - ومن خلاله يوعد إنسان العالم النامي بالرفاهية التي حققها لإنسان العالم الرأسمالي.

الثاني: يمثل العالم النامي باضطراباته وكوارثه الطبيعية وحروبه، مما يعصف بثقافة إنسان العالم النامي الذاتية، ويعمل على تدمير ذاتيته الشخصية، ويجعله متطلعا إلى بدائل وهمية عن واقعه البائس، فيندفع وراء تقليد ما يشاهده. (أبو شعيرة في قضايا دولية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٢٨٦، ص ٢٥).

" وقد أثبت علم نفس الجماهير كما أكدت الخبرة على أنه " من الممكن التأثير على الناس من خلال التكرار الملح لإقناعهم بخرافات لا علاقة لها بالواقع. وتنظر سيكولوجية وسائل الإعلام الجماهيرية إلى التلفاز على الأخص باعتباره وسيلة، ليس لإخضاع الجانب الواعي في الإنسان فحسب، بل الجوانب الغريزية والعاطفية بحيث تخلق فيه الشعور بأن الآراء المفروضة عليه هي آراؤه الخاصة "، وبذلك تسهم وسائل الإعلام في تضليل الجماهير.(بيجوفيتش، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ١٠٨).

ونجد أن هذه التبعية وهذا الاسترقاق لا يحدثان إلا في ظل غياب الوعي بالأهداف والغايات التي خلق من أجلها الإنسان، مما يحدث لديه قابلية للغزو والاستعمار الثقافي والاعتقاد بكمال الآخر الذي يقتدي به، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في مقدمته حيث يقول في عنوان الفصل الثالث والعشرين: " في أن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده ". وهو يرى بأن السبب في ذلك يرجع إلى أن " النفس أبدا تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه إما لنظرة بالكمال بما وقر عندها من تعظيم أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب" (ابن خلدون، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٢٥٩).

وسوف نتحدث فيما يلي عن مؤتمرات المرأة وحقوق الإنسان على اعتبار أنهما من أبرز

الموضوعات التي تمس المرأة، والتي يحاول الغرب فرض سيطرته الثقافية على المجتمعات الأخرى من خلالها.

أ- مؤتمرات المرأة:

احتكرت الأمم المتحدة قضايا المرأة من خلال المؤتمرات والندوات والملتقيات التي تعقد هنا وهناك، بهدف الامتداد بالنموذج الغربي بكل أشكاله ومفاهيمه ليعم جميع دول العالم[1]. وقد عقد في السنوات الأخيرة عدد من المؤتمرات التي شكلت صورة من تلك المحاولات، حيث ركزت على الإباحية والشذوذ والفوضى الجنسية. وهذا ما حدا بإحدى مندوبات الهند في مؤتمر بكين الرابع للمرأة إلى القول بحدة: " هذا مؤتمر عجيب.. لا نسمع فيه إلا الحديث عن حرية الإجهاض، وتنظيم النسل، والصحة الجنسية، بينما أطفالنا جائعون ولا يشربون مياها نظيفة، ولا يذهبون إلى مدارس، ويفتقدون الرعاية الصحية، ولا يتحدث أحد عن ذلك.. إنه مؤتمر تنظيم النسل فقط . (المجتمع، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع١١٤٧ ، ص ٣٤).

لقد أدرك الوضع العلماني المسيطر في الغرب، أنه لكي يضمن استمراريته في السيطرة فلابد له من إلغاء الدين الباعث على الثورة والرفض، وإحلال مفاهيمه العلمانية، لضمان ولاء الأجيال الجديدة له، لمشاركتها إياه نفس الأفكار. وفي هذا السياق تأتي حركة (الفمنزم) [2] النسوة العلمانية (كدين جديد) لا يطالب بمجرد الحقوق للمرأة، بل بتغيير جذري وشامل يقلب المفاهيم، خاصة الدينية التي ظلت البشرية تنظر إلى المرأة من خلالها. فهي تصور التاريخ البشري على أساس أن الرجال قد قاموا منذ وقت مبكر بقلب الأوضاع التي كانت تسيطر فيها النساء، وتنادى بإعادة الأمور إلى نصابها، وعودة النساء

---

(١) رعت الأمم المتحدة سلسلة من الملتقيات بدءا من عام ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥م ، أعقبه عقد المرأة ثم عام الطفل ثم عام الأسرة، وقد سارت متوازية مع مؤتمرات السكان، وكان آخرها مؤتمر بكين الرابع للمرأة في سبتمبر ١٩٩٥م. وكل هذه المؤتمرات تمثل حلقات متتابعة من أجل تدشين الاتجاه النسوي (Feminism) الذي بدأ منذ ما يزيد عن ربع قرن، وهو يختلف عن الحركة النسائية التي بدأت في مطلع القرن العشرين للمطالبة بحقوق للمرأة نسيت أو سلبت، لكنها مشروعة سواء في الشرق أو في الغرب، لكنها تطورت فيما بعد للمطالبة بحقوق مزعومة، ومهدت بذلك لظهور الفمنزم " الحركة النسوية العلمانية " التي تمثل عقيدة شمولية تطرح لكي تفرض وتسود العالم كله، وتحل محل العقائد والأديان والمذاهب (وضعية كانت أم غير وضعية). " (يحيى، في البيان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٩٣، ص ٩٢-٩٥).

(٢) **الفمنزم**: Feminism هي " نظرية المساواة بين الجنسين سياسيا واقتصاديا واجتماعيا. (يحيى، في البيان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٩٣، ص ١٠٣).

إلى مكانهن الطبيعي. (يحيى في البيان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٩٣، ص ٩٦-٩٧).

والنوع المحايد [١] هو الغاية الكبرى من وراء الشعارات التي ترفعها الحركة النسائية العلمانية بدعوى تمكين المرأة، وإكسابها النفوذ الاقتصادي، وإلغاء التقاليد المعوقة لتقدمها، ونشر التعليم الجنسي. وهي قد اتخذت طابع العالمية بسبب الفراغ العقدي الذي يشعر به المجتمع، إضافة إلى أنها تضمن للمجتمع الغربي " إسقاط ذاته، وبسطها على المجتمعات التابعة (الإسلامية، والنامية) " (يحيى في البيان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٩٣، ص ٩٩).

ويلاحظ وجود مدافعين وأنصار كثر لهذه الحركة في عالمنا الإسلامي ويتمثلون في "النخب العلمانية [٢] ذات الهيمنة على مجريات شئون مجتمعاتنا، وهي وإن كانت محدودة العدد إلا أن سيطرتها على مفاتيح مؤسسات الإعلام، والتعليم والثقافة – بل والسياسة – تعطي لها نفوذا يفوق حجمها بكثير" (يحيى في البيان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٩٣، ص ٩٩).

وأدهى ما في الموضوع، أن الأمر لا يتوقف عند مجرد عقد المؤتمرات، وإصدار القرارات بحيث يلتزم بها من أراد، بل إن هذه القرارات والتوصيات تفرض فرضا على الدول، حيث تتحول إلى سياسات تلتزم بها الأجهزة الحكومية، وغير الحكومية، في جميع دول العالم. وتقوم الأمم المتحدة بالتأكد من تنفيذها، ويساندها في ذلك الإعلام الدولي، وشبكة المعونات الأجنبية التي تمثل أداة التدخل والتأثير في الدول الإسلامية في العصر الحديث، إلى جانب المنظمات غير الحكومية التي تمارس نفوذا قويا على الحكومات المحلية بمستوياتها المختلفة من أعلى إلى أسفل، والتي أصبحت تمثل "الذراع الأساسي للحكومة

---

(١) **يقصد بالنوع المحايد:** " أن يكون المخلوق البشري مادة خاما، تخلو من الملامح والقسمات التي درجت البشرية على التمييز من خلالها بين النساء والرجال كنوعين مختلفين لجنس واحد، لكل منهما أوضاع وأدوار محددة يقوم بها داخل الأسرة. " (يحيى في البيان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٩٣، ص ٩٧).

(٢) صرح عضو مجلس الشيوخ الأمريكي البارز السناتور (هيلمز)في ٢٧ يوليو ١٩٩٥م / ١٤١٥ هـ " أن المؤتمر تديره وتحدد أفكاره جماعة محدودة من النساء اليساريات (وهذا اللفظ من الاصطلاح الأمريكي يتضمن معاني العلمانية الملحدة) اللواتي يعملن لهدم قيم الأسرة وسائر التعاليم الأخلاقية " (يحيى في البيان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٩٣، ص ٩٩).

العالمية في فرض وإعمال كل السياسات الموضوعة في مؤتمرات المرأة والسكان، وهذه المنظمات تضم نخبا نسوية علمانية منعزلة عن مجتمعاتها الإسلامية، لكنها تستمد قوتها بفضل الدعم المادي والمعنوي الذي تتلقاه من شبكاتها الخارجية، وهي أكثر ارتباطا بالوضع العلماني الغربي منها بمجتمعاتها المحلية حيث تعمل فروعا لها، وتمارس نفوذا لا يتناسب والحجم الحقيقي لأفرادها، أو وزنهم الفكـــري. " (يحيى في البيـان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٩٣، ص ١٠١-١٠٢).

وهكذا يجد العالم الإسلامي نفسه مع حركة فكرية، تسعى إلى نشر أفكارها بأسلوب التآمر الخفي وليس بوسائل الحجة والإقناع، فتعمد إلى إجبار المجتمعات الإسلامية على تنفيذ سياسات لا تتناسب وتصوراتها الإسلامية، وكما يقول يحيى؛ فإن اللجوء إلى هذا الأسلوب المشبوه في الفرض، يدل على ثقة مروجي هذه الأفكار من أنهم لو طرحوها على حقيقتها فلن تجد صدى لنداءاتها؛ لذلك يعمدون إلى أسلوب الفرض. (يحيى في البيان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٩٣، ص ١٠٣) فينبغي الاهتمام بتوعية المرأة المسلمة المعاصرة من خلال وسائط الثقافة؛ بحقيقة هذه المؤتمرات، وحقيقة الاضطراب الثقافي والعقدي والحضاري الذي يعاني منه إنسان الثقافة الرأسمالية، والذي يدفعه إلى محاولة فرض شذوذه واضطرابه على غيره من أفراد الأمم الأخرى، وأن تعمل كذلك على تعريفها بالدور الذي يمكن أن تقوم به من أجل تصحيح هذا الاضطراب الذي أفرز ظلما كبيرا على الإنسان بصفة عامة، وعلى المرأة بصفة خاصة، التي وقع عليها القسط الأكبر من الظلم في غالبية المجتمعات البشرية.

كذلك ينبغي توجيه المهتمين بقضايا المرأة في العالم الإسلامي؛ إلى أن بإمكانهم تناول نفس القضايا والموضوعات التي تثيرها هذه المؤتمرات، من أجل تأكيد تميز الطرح الإسلامي عن غيره، بدلا من الهجوم عليها. وذلك لأن الإسلام ينظم أمور المرأة بطريقة أكثر إنسانية عن غيره من الأديان والفلسفات، ونظرته إلى المرأة جديرة بالطرح أمام المحافل الدولية، وفي الوقت نفسه ينبغي العمل على تحسين وضع المرأة في العالم الإسلامي التي أسيء إليها بمقتضى الأعراف والتقاليد المخالفة لما جاء به الإسلام.

ب- المناداة بحقوق الإنسان:

حقوق الإنسان من الشعارات التي يرفعها الغربيون دوما ويعتبرون المناداة بها أحد

أهدافهم التي يرون فيها سبيلا يساعدهم - كما يقول طايل - " على تهيئة عقول وضمائر الأمم الأخرى لقبول فكرة سمو وتفوق أهل الشمال على أهل الجنوب، وتبعية هؤلاء لأولئك." (طايل، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٩٢).

وقضية حقوق الإنسان، ليست في الأساس قضية غربية، وإنما هي قضية مبنية أساسا على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وهذا الإعلان عبارة عن وثيقة وفاقية صدرت عام ١٩٤٨م / ١٣٦٨ هـ، وهي تحمل مزيجا من أفكار وقيم النظامين الليبرالي والاشتراكي إلى جانب بعض القيم الدينية العامة. ثم تأسست على هذا الإعلان مئات الإعلانات والمواثيق الدولية، وكلها بلا استثناء كانت لصالح العالم الثالث. (حوار مع المنصف اللواتي في الحياة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ع ٢٢٥٠).

وقد أخذ الغرب يعمل منذ فترة طويلة من أجل تحقيق هذا الهدف، ومن الإشارات الدالة على ذلك؛ التقرير الذي قدمه الدكتور (إرنست ليفر- Ernest Lever) مساعد وزير الخارجية الأمريكي إلى مجلس الشيوخ الأمريكي في عام ١٩٧٨م / ١٣٩٨ هـ، الذي صادق عليه المجلس ونشرته مجلة (بوليسي ريفيو Policy Review) في شتاء نفس العام.

وقد دعا ليفر إلى أن تصبح فكرة (حقوق الإنسان) أحد مكونات السياسة الخارجية الأمريكية، بهدف التدخل في شئون الدول الأخرى من خلال ممارسة الضغوط، والإكراه المعنوي العميق، لإجبارها على تغيير سياساتها الداخلية ومؤسساتها، وعلاقاتها السياسية مع الدول الأخرى. وكان مما قاله في التقرير:

"... ولن يحدث هذا إلا إذا شاركتنا المجتمعات الأخرى نفس قيمنا.. وعلى الولايات المتحدة أن تنصب نفسها حكما على المجتمعات الأخرى وحكوماتها، وأن تحدث في سياساتها الخارجية اضطرابات عند اللزوم.. وأحذر من أن تؤخذ فكرة (السيادة) وما ينبع عنها من صلاحيات واختصاصات داخلية مأخذ الجد.. فقد أصبحت فكرة السيادة هذه بمثابة العقبة النهائية أمام استخدام فكرة حقوق الإنسان في مجالي السياسة الخارجية والسياسة الدولية." (طايل، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٧٢).

والواقع المعاصر يشير إلى تحقق أهداف الغربيين في المجتمعات الإسلامية، لما أصبح عليه المسلمون اليوم - إلا من رحم الله - من انهزام نفسي؛ جعلهم ينطلقون في تبعية عمياء للغرب، وفي ذلك يقول طايل:

وعلاقة تبعية أمة لأخرى، هي حالة من حالات الانهزام النفسي التي وضع لها العلامة ابن خلدون وصفا وتبريرا ونتيجة، " وشعور أمة بتفوق أمة عليها.. يجعل الخوف والانهزام يسكنان نفوس أفراد التابعين، ويمنعهم من القدرة على الابتكار، ولا يترك لهم سوى خيار (تعميق التبعية)، ونبذ ثقافتهم الأصلية، والجري لاهثين لالتقاط سقط متاع ثقافة الأمة التي يظنون أنها متفوقة عليهم. " (طايل، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٩٢) .

ونجد هذا قد تحقق في جري كثير من المسلمين وراء دعاوى المؤتمرات التي عقدت بهذا الخصوص، سيما مؤتمرات المرأة التي أشرنا إليها آنفا، والتي أسفرت عن جري كثير من المسلمات المعاصرات وراء التفسيرات المحلية لمفهوم حقوق الإنسان لدى الدول الأخرى، دون أن يتفهمن أن ذلك إنما يتماشى مع رغبات تلك الدول ومصالحها.

ومن الإشارات الدالة على ذلك؛ أن مؤتمر بكين قد اهتم كثيرا بأمور الصحة المتعلقة بالنسل والأمراض الجنسية والمعدية والإجهاض التي يبلغ عدد المصابين بها ٤ ملايين حالة، في حين أهمل الأمراض الاستوائية التي يتراوح عدد المصابين بها ما بين ٦٥٠ و٨٥٠ مليون حالة خلال عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، وذلك بحسب إصدارات منظمة الصحة العالمية. (رسالة الفاتيكان إلى أمين عام مؤتمر بكين، في قضايا دولية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٣٠٠، ص ٣٥).

فهذه المؤتمرات تهمل تماما حقوق الإنسان في الدول الأخرى ولا تهتم إلا (بإنسانها) الذي ترعاه وتبذل جهدها من أجل توفير كل أسباب الراحة له.

ومن بين المؤشرات الدالة على ذلك ما ذكرته خديجة الترابي في حديثها عن الجهاد في كشمير؛ حيث إنها تشارك في المؤتمرات النسائية العالمية والعربية من أجل التعريف بالقضية الكشميرية. وقد وجدت أن هذه المؤتمرات لا تعرف الكثير عن قضية كشمير ".... وللأسف هذه المؤتمرات تناقض نفسها، حيث إنها تعمل باسم حقوق المرأة، مع أن المشاركات فيها لا يعرفن أن سبب معاناة المرأة المسلمة في كشمير هو السياسات القمعية التي تتعرض لها من قبل الاحتلال الهندوسي" (لقاء مع خديجة الترابي في عكاظ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ع ١٠٩٨٥).

ومن الشعارات التي يرفعها الغرب في مناداتهم بحقوق الإنسان (الدعوة إلى المحافظة على البيئة)؛ وهو شعار مقبول و محبذ من المجتمع، إلا أن الغربيين - وكما يقرر

طايل - يستهدفون من ورائه السيطرة على الأرض، وما فوقها وما تحتها، بدعوى امتلاكهم تكنولوجيا المعلومات، ووسائل التنبؤ والتحكم، فهم بذلك الأقدر على الحفاظ على البيئة التي تفسدها تصرفات الأمم المختلفة، وهم الأقدر على التصرف في الثروة الطبيعية والنباتات والمياه في الوقت الذي يصدرون فيه إلى الأمم الأخرى المبيدات والكيماويات التي تمثل حربا حقيقية ضد الأحياء... (طايل، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٨٧-٨٨).

وأخطر دعاوى الحفاظ على البيئة تتمثل في التحكم في المواليد. (Birth Control)، والذي يترجم بالخطأ على أنه تنظيم للأسرة، حيث يصحب من باب التضليل ببعض الدعاوى الخاصة برعاية الأمومة والطفولة.

يقول طايل:

" لقد صارت فكرة (التحكم في المواليد)، أحد مكونات الصراع الثقافي العالمي، فانخفاض نسبة المواليد لدى اليهود وفي أوربا وأمريكا والجمهوريات السلافية بالاتحاد السوفيتي (سابقا) سوف تجعل هذه البلدان مجتمعات (مسنة) في مطلع القرن القادم.. أي أن المعولين فيها أكثر في نسبتهم من القادرين على العمل، في حين أن بلدان الأمة الإسلامية - بنسبة مواليدها العالية - ستكون بمطلع القرن الميلادي القادم بلدانا (شابة) لديها قوة عمل تستطيع تشغيلها، وتصدير بعضها إلى أوربا وأمريكا، فتتزايد نسبة المسلمين هناك ويتواجدون في كل القطاعات الاقتصادية." (طايل، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص٨٧ - ٨٩).

فينبغي الاهتمام بتوجيه أفراد المجتمع الإسلامي بصفة عامة والمرأة بصفة خاصة إلى أهمية تحقيق التوجيه النبوي الكريم: " تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة " (ابن حنبل، د.ت، ج٣، ص١٥٨)، وكيف أن التبعية العمياء لتوجيهات الغرب في الحث على تحديد النسل؛ تخالف التوجيهات النبوية، إلى جانب أنها تخدم مصالح الغربيين.

ويحتج الغربيون في دعوتهم إلى تحديد النسل بنظرية مالتس[1] في السكان، وهي نظرية خطأها الكثيرون.

فينبغي توضيح خطأ هذه النظرية، والتي هي كما يقول عنها طايل: (محض هراء؛ لأن الإنسان لم يستغل حتى الآن سوى القليل جدا من موارد الأرض، كما أن الله - سبحانه وتعالى - لم يخلق الخلق عبثا.) (طايل، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٩٠).

وهو سبحانه قد تكفل برزق مخلوقاته ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود].

كذلك ينبغي على التربية أن تؤكد على الإنسان، باعتباره محور الإنتاج ومحور عملية التنمية، فهو الخليفة الذي أوكل الله إليه مهمة اعمار الكون، وهي مهمة لا تتحقق على أكمل وجه إلا بالعدد الكبير من البشر، وهذا ما توصل إليه بعض المفكرين الغربيين ومنهم (كارل هاوس هوفر) الذي يعتبر أن من عوامل قوة الأمة واستمرارها أن يكون لديها " معدل عال من المواليد. " (طايل، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٩٠).

أيضا ينبغي تنبيه المرأة بخاصة والمجتمع الإسلامي عامة - عبر وسائط الثقافة المختلفة - إلى الأساليب التي يتبعها الغربيون من أجل تحقيق سياسة التحكم في المواليد في مجتمعاتنا، حيث يعمدون إلى استغلال تقدمهم العلمي والتكنولوجي من أجل إمداد الدول الأخرى - بما فيهم نحن - بالأدوية والأمصال وغيرها، من أجل خفض معدلات المواليد.

تقول خديجة سيف الدين الترابي مسئولة القسم النسائي بهيئة الإغاثة لمسلمي كشمير في لاهور بباكستان: إن المرأة في كشمير " تتعرض للعديد من المحاولات الرامية إلى قطع

---

(١) يعتبر توماس مالتس الذي عاش في القرن الثامن عشر، أول من اهتم بدراسة الأزمة السكانية، حيث خلص من دراساته في الموضوع إلى أن الموارد الغذائية تتزايد وفقا لمتوالية حسابية: (١، ٢، ٣، ٤.....)، في حين يتزايد السكان وفقا لمتوالية هندسية: =

= (١، ٢، ٤، ٨،.....)، ومن ثم فإنه سيأتي وقت يزيد فيه حجم السكان أضعافا مضاعفة عن الموارد الغذائية. الأمر الذي ينجم عنه مجاعات وأمراض وأوبئة، وقد تعرضت هذه النظرية لانتقادات كثيرة، أجمعت على أن مالتس قد نسي مقدرة الإنسان على التطوير التقني الذي يمكنه استخدامه في زيادة الإنتاج الغذائي، وإحداث توازن بين النمو السكاني والغذائي. (القاسمي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ١٧).

صلتها بالإسلام من خلال غزوها ثقافيا بالكتب الإباحية والدعاوى الفاسدة للاختلاط، وتعرضها لعمليات الاغتصاب الفردي والجماعي فضلا عن حملات تنظيم الأسرة التي تهدف إلى تقليص عدد سكان وادي كشمير المسلمين. وبالفعل نجحت هذه الحملات في خفض نسبة السكان من ٨٥٪ إلى ٦٥٪. ومع ذلك، فهناك حرص من قبل المرأة الكشميرية المسلمة، على مقاومة هذا الغزو وعدم الاستسلام لأية محاولة لقطع صلتها بدينها وثقافتها." (لقاء مع خديجة الترابي في عكاظ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ع ١٠٩٨٥).

وأهم ما ينبغي أن تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إليه هو سياسة الكيل بمكيالين التي تتبعها الدول الغربية فيما يتعلق بحقوق الإنسان، بحيث تستخدم هذا الشعار كجزء من مصالحها وأسلحتـها.

فهي قد استعملته ضد الشيوعية لتدميرها، ونجدها في الوقت الحالي تستخدمه بصورة "انتقائية وفقا لمصالحها " فتطبقه في الدول الإسلامية بطريقة، وفي الدول الأخرى الموالية لها – كإسرائيل - بطريقة أخرى. (لقاء مع المنصف اللواتي في الحياة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ع ٢٢٥٠).

٤- النظام العالمي الجديد:

وهذه فكرة ثقافية بالدرجة الأولى، ومفادها " انتهاء الانقسام في داخل الحضارة الغربية، التي يصفونها بأنها (يهودية / نصرانية) وذلك بعد أن اندحرت الماركسية، وأصبح على المعسكر (الليبرالي الغربي) بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، أن يعيد تشكيل العالم على مقتضى قيمه)" . (طايل، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٧٠).

وكما هو واضح فإن هذا النظام ليس له من العالمية سوى اسمه، إذ الهدف منه هو التدخل في سيادات الدول وثقافاتها بالقوة. ونجد أن أول وأبرز إصاباته في عالم المسلمين هو التمكين لسيطرة اليهود، وتهوين القيم الإسلامية ومحاصرة مؤسسات العمل الإسلامي. (حسنة في مقدمة السائح، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٢١).

وأخطر مراحل هذا النظام تتمثل في " التطبيع الثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي مع اليهود، فهذه المرحلة يمكن اعتبارها الصورة الأحدث للغزو الفكري المكشوف ... " حيث يقتضي اقتلاع الثوابت الدينية والوطنية، ومحو الذاكرة العربية المسلمة وإلغـاء مخزونها الثقافي والفكري، وإيقاف الموارد الثقافية والتواصل والنقل

المعرفي بين الأجيال تحت عنوان التجفيف وإعادة التثقيف، والمقصود بذلك تجفيف منابع الدين؛ بحذف الآيات والأحاديث النبوية التي تتناول اليهود وأخلاقهم، ومسح الشخصيات التاريخية للأمة. (حسنة في مقدمة السائح، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٢١).

فينبغي توجيه وسائط الثقافة المختلفة من أجل توعية أفراد المجتمع الإسلامي، وخاصة المرأة بحقيقة النظام العالمي الجديد والعمل على تحصينهم ضد تيارات الغزو المختلفة بما يحفظ للأمة الإسلامية كيانها من الذوبان في الثقافات الأخرى.

كذلك ينبغي توجيه وسائط الثقافة؛ بحيث توضح لأفراد الأمة الإسلامية حقيقة التدافع في الاجتماع البشري، والذي هو سنة من سنن الخالق سبحانه وتعالى في هذا الكون، فهو سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج:٤٠].

ومن ثم ندرك أن الغزو الثقافي ليس شرا كله، بل هو من المنبهات الثقافية والتحديات الحضارية الضرورية لإعادة شحذ الفاعلية، واستعادة الذات، وإنهاء حالة الاسترخاء والكسل، واكتشاف الأسباب التي أدت إلى ما نزل بالمسلمين من عقوبات. فكما أننا بحاجة إلى معرفة الخير لفعله؛ كذلك نحن بحاجة إلى معرفة الشر من أجل الابتعاد عنه، فلا يعرف الإسلام من لم يعرف الجاهلية. (حسنة في مقدمة السايح، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٢٣-٢٤).

ومن المهم جدا معالجة موضوع الغزو الثقافي؛ باتزان وتعقل، دون إفراط ولا تفريط، بحيث نستفيد من التوجيهات القرآنية؛ التي توصينا بأن نكون في غاية الحذر، خاصة إذا ما كنا مستهدفين، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [النساء:١٠٢].

فالأمر يقتضي منا أخذ الأهبة، و الاستعداد، وفي الوقت نفسه المهادنة، ولكن ليس إلى درجة الغفلة التي تجعلنا قابلين لأن يغزونا الآخرون كما هو حالنا الآن.

٥- تفاعل الحضارات:

في السنوات الأخيرة ظهرت نظرة سياسية معاصرة لدور الثقافة تدور حول " شكل عالم الغد بعد انتهاء الحرب الباردة ودخول العالم في وفاق ظاهري "(مصطفى الفقي في

المستقلة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ١٤٣)، حيث وجد البعض في صراع الحضارات بديلا للصراعات التي بدأت تختفي. حيث عمد بعض المفكرين الغربيين إلى التعبير عن مخاوفهم مما أسموه بالحضارات الشرقية والإسلام.

وقد تزامن نشوء هذه الفكرة مع اندلاع حرب الخليج، حيث أعلن (صمويل هنتنغتون) عن رؤيته في مقالة له بعنوان: " صدام الحضارات " التي وجه فيها أنظار الغرب إلى أهمية أخذ الأهبة والاستعداد لصراع الحضارات الذي ستكون نتيجته الحتمية الحرب. ثم سار على دربه، (فوكوياما) في كتابه نهاية التاريخ، (غليون في ندوة مجلة الدبلوماسي عن حوار الحضارات والثقافات، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ع ٤، ص٨-٩).

ويشير فهمي جدعان إلى أن هؤلاء المفكرين لا يهدفون إلا إلى تصعيد الرعب والخلاف والصدام مع الآخرين من أجل ضمان السيطرة والهيمنة، وحماية المصالح، متشبثين بمنطق (الصراع، والبقاء للأقوى)، ومن أجل إلحاق الهزيمة والفشل بكل المشاريع الحضارية والثقافية الأخرى. (جدعان في الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١١٨).

وقد قوبلت هذه الأفكار بالنقد الشديد، حتى من قبل المفكرين الغربيين، ومن بينهم غويتسولوا، الذي حينما سئل عن الأطروحة التي قدمها ودافع عنها هنتنجتون بأن الإسلام هو العدو الحالي والقادم للغرب أجاب:

" إنها سذاجة وفكرة سيئة، فالغربي يبدو دائما في حاجة إلى عدو، تاريخيا ولأسباب جغرافية، كان هناك صدام ومواجهات في أسبانيا أولا، ثم في البلقان مع الإمبراطورية العثمانية. مواجهات ربحها الغرب آنذاك، ثم وفي العقود الأخيرة كانت الشيوعية هي العدو، ولكن تطورات السنوات الأخيرة وزوال الشيوعية قوض ذلك، ومنذ ذلك الوقت بدأ البحث عن عدو جديد. وفي هذا الإطار تندرج الأطروحة الساذجة لهنتنجتون".

ثم يضيف قائلا بأن العلاقة بين الغرب والإسلام يجب أن يكون قوامها "... الاحترام والاستفادة المتبادلان، لا مركبات أو مشاعر الإحساس بالنقص. " (لقاء مع خوان غويتسولوا في المستقلة، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م، ع ٨٤).

وتقول ديان سنغرمان، الأستاذة بقسم العلوم السياسية في الجامعة الأمريكية بواشنطن:

" إن كتاب هنتنغتون مشهور في أمريكا وقد أثار اهتمام الناس؛ لأنه يقدم وجهة نظر جديدة، لكن الحذر منه واجب، ومن فرانسيس فوكوياما وأمثاله. هؤلاء جميعا نحن لا نرغب أن تكون لنا بهم صلة، ونحن حين نجلس نتحدث عنهم فليس ذلك من باب الاحتفاء بهم " (ندوة مجلة الديبلوماسي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ٤، ص ١٦).

ويؤكد الكثيرون على أن هنتنغتون لا يتحدث عن صراع بين الحضارات، وإنما بين الأديان، وكل ما في الأمر - كما يقول الإيراني (بيروز مجتهد زاده):" هو أنه استعمل مصطلحا مختلفا، فهو يستعمل مفهوم الحضارة كما يتفق مع تصوره هو. وهو بمعنى ما قد اصطنع وضعا للناس ما لبثوا أن أخذوا معه يرددون ما يقول: تنافس الحضارات، صراع الحضارات... إلخ " (ندوة مجلة الديبلوماسي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٤، ص ١٤).

ويتضح عدم وضوح الفكرة لدى هنتنغتون؛ إذا ما علمنا أنه لا يتحدث عن الإسلام فقط، بل عن الإسلام المتحالف مع الكونفوشية فهو - كما يقول د.(أنتوني سوليفان): ".... يرى تحالفا ما قائما بين الإسلام والكونفوشية، ولو أن أحدا فكر بهذا الأمر على هذا النحو فإنه سينظر إلى المسألة وفق صيغة الغرب ضد الآخرين. " (ندوة مجلة الديبلوماسي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ، ص ١٦).

ووسائط الثقافة في البيئات الإسلامية حينما تتناول هذه الفكرة وأمثالها مما يشيع في العالم، فإنها تنبه الأذهان لما يجد في العالم من أفكار واتجاهات، لكنها في الوقت نفسه يجب ألا تكتفي بذلك؛ بل توجه وسائط الثقافة لديها من أجل مواجهة هذه الأفكار بالحجج والبراهين التي تدحضها. فصحيح أن هناك توترات في العالم، لكنها ليست بسبب الأديان وإنما بسبب سوء الفهم بين الشعوب والذي يمكن إزالته من خلال التواصل والحوار.

يقول سكوت هيبارد، مسئول برامج الأديان والأخلاق وحقوق الإنسان في معهد الولايات المتحدة الأمريكية للسلام:

" إنني أعتقد أن هذه التوترات التي تقوم بين الأمم، إنما تنشأ وتتجذر في أرضية من

الجهل الغالب؛ لأنها في الأصل ولحد بعيد نتائج للإعلام والرأي العام "، وذلك من أجل خدمة أغراض سياسية. (ندوة مجلة الديبلوماسي عن حوار الثقافات والحضارات، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م،ع٤، ص ١٣).

٦- الأمن الثقافي:

ترتبط الثقافة بالأمن الداخلي للأمة، من حيث إنها تؤدي إلى الوحدة والتماسك بين أفراد المجتمع؛ ولهذا وصف الله سبحانه وتعالى الأمة الإسلامية بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء] .

أما من الناحية الخارجية، وكما أشرنا سابقا - فإن اختلاف الثقافات؛ هو من سنن الله التي تحقق التدافع. قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود:١١٨] .

ونجد الغربيين لا ينكرون تمايز الثقافات عن بعضها البعض، بتمايز حضارات الأمم المنتمية إليها.. فلكل من الصينيين، والهنود، والمسلمين حضارة تتميز عن غيرها. فالغربيون لا ينكرون تميز الحضارة الإسلامية عن غيرها إلا فيما يتعلق بالحضارة الغربية. فهنا تبرز دعوى عالمية الحضارة وعالمية الثقافة.

أما السبب في ذلك فهو - كما يقول د.عمارة - أن أيا من تلك الحضارات لا تمتلك إمكانات المنافسة والتأثير خارج حدودها، فالفكر الغربي حريص على فرض ثقافته وحضارته على العالم الإسلامي؛ لأن الثقافة الإسلامية هي الوحيدة التي تمثل تحد فعلي وحقيقي لمجتمعات الغرب. (عمارة في المسلم المعاصر، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤ م، ع ٧٣ و ٧٤، ص ٧-٨).

ولهذا وجدنا الغربيين في السنوات الأخيرة؛ يروجون لفكرة " تصادم الحضارات "، إذ يعتبرون أن مركز التهديد للحضارة الغربية قد انتقل من الشيوعية إلى مواطن أخرى جنوبية.

فإذا ما أدركنا رغبة الآخرين في تصفيتنا؛ فإن الأمر يقتضي من التربية أن تعمل على توجيه أفراد المسلمين - ذكورا وإناثا - من أجل العمل على الحفاظ على الذاتية والهوية الإسلامية من أجل سلامة وأمن ثقافتنا الإسلامية.

ومن أجل الانطلاق نحو هويتنا الأصلية، والانعتاق من الأطر الثقافية التي سجننا فيها الغرب، فإنه يواجهنا في طريقنا اتجاهين:

الأول: رفض ما جاء به الغرب بالكلية.

الثاني: الذوبان تحت شعار العالمية والأخوة الإنسانية.

والأول يمثل رجعية يجب أن نتخلى عنها؛ لأنها السبب في تخلفنا وجمودنا، عندما رفضنا أن نساير سنة الله في التغير والتطور. (عبد العظيم، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م، ص ١٤٩-١٥٣)، وذلك لأن الثقافة المتوارثة غير كافية، فلابد من فقه للدعوة، ولأنظمة الإسلام، ومعرفة للعصر، وللمواقع المتقدمة للعمل الإسلامي المعاصر. (حوي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م، ص١٣٨). أما **الثاني**، فهو كلمة حق يراد بها باطل كما عرفنا مسبقا، ومن ثم فإنه لابد لنا من خيار ثالث، والمتمثل في الإسلام على أصالته والذي قال عنه ﷺ: (بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ). (مسلم، د.ت، ج١، الإيمان/ ٦٥، ص ١٣٠).

فالأمر يقتضي العمل على تحرير أفراد المجتمع الإسلامي من السلبية والانهزامية، والإحساس بالضعف، والعجز، والكسل، وتبرير التخلف، والعمل من أجل الانطلاق على هدي من الإسلام، والعودة من جديد خير أمة أخرجت للناس.

كذلك ينبغي العمل على توعية أفراد المجتمع الإسلامي ذكورا وإناثا؛ بحقيقة الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر والذي يصفه عمارة بأنه: " واقع الاحتكاك والتدافع الثقافي والحضاري مع النموذج الغربي تحديدا، ودون أي (آخر) سواه"، وأن ذلك يقتضي منا " تحديد المعالم المميزة للنموذج الثقافي الإسلامي عن النموذج الغربي؛ من دون أن يعني ذلك إنكار ميادين المشترك الإنساني العام في العديد من العلوم والمعارف التي لا تدخل حقائقها وقوانينها وثمرات معارفها وتجاربها في (المميز للذات الثقافية) وإنما تدخل في (الجامع) الذي تتفاعل فيه وتتشارك (الذوات الثقافية) للإنسانية جمعاء. (عمارة في الحياة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ع ١٢٢٢٤).

فمن خلال التربية يمكن تحديد النموذج الثقافي، وتوضيح معالمه، وتقديمه من خلال كافة المؤسسات التربوية المباشرة و غير المباشرة، ثم تترك الحرية للمرأة المسلمة في الترجيح والاختيار من بين ما يعرض عليها على أساس من النموذج (المعيار) الذي قدمته لها التربية، وأنشأتها عليه منذ البداية.

يقول عمارة:

" إن (النموذج الثقافي) يكاد أن يكون، بعد اختياره والانتماء إليه والولاء له، المعيار الذي يحدد ويرجح (النماذج) التي يختارها الإنسان في العديد من المجالات والكثير من الميادين، فالثقافة التي صنعت هوية الإنسان هي الموجه لاختياراته لنماذج الأسوة ومناهج القدوة والمثل والمعالم التي تجعله يوالي هذا ويعادي ذاك، وينشط لهذا المقصد ويعدل عن سواه، ويضحي في هذا السبيل ولا يلتفت إلى ما عداه. و(النموذج الثقافي) هو المحدد (لنموذج المستقبل) الذي يسعى الإنسان إلى صنعه وتحقيقه في الواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه. " (عمارة في الحياة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ع ١٢٢٢٤).

وينبغي أن يكون أساس النموذج الثقافي الذي تعرضه التربية هو العقيدة والقيم المنبثقة عنها؛ بحيث تعمل في إطارها جميع وسائط الثقافة ولا تخرج عنها من أجل الحفاظ على أمن الأمة وكيانها.

أما الاحتجاج بمسايرة العصر، والتفاعل مع الحضارات فإنما هي " فرية تحيل الأمة إلى (قرد) يقلد الآخرين، و (ببغاء) يردد ما يقولون دون أن يعلم له معنى. وإن الاحتجاج بمصلحة الوطن وهم. فما قيمة الوطن وأنت ضائع فيه، مستعبد على أرضه، تعيش لتأكل، وتتمتع كما تتمتع الأنعام. " (طايل، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ١٠٨).

كذلك ينبغي على التربية أن تستفيد من الثورة الإعلامية التي أتاحتها التقنية الحديثة من أجل الحفاظ على الأمن الثقافي للمرأة المسلمة المعاصرة - وغيرها من أفراد الأسرة - التي تعيش في ديار المهجر، والتي تواجه إمكانية فقدان الهوية بسبب العيش في مجتمع غير مسلم، فالاستخدام الأمثل لوسائط الثقافة يمكن أن يفيد كثيرا في إعادتها من شباك الاغتراب والاستلاب.

والإسلام قد صاغ النموذج والمثال ووضع المعيار الذي يوضح السبيل لأسلمة الثقافة التي تصوغ نفس الإنسان المسلم، وقد رأينا كيف أنه قد ضبط الأعراف وجعلها أحد مصادر التشريع رغم أنه لم يصغها، وكذلك الحكمة التي هي " الصواب البشري " المتوصل إليه من خلال العقل البشري؛ فقد جعلها الإسلام " مناطا للتكليف الشرعي، واعتبرها كالكتاب. " (عمارة في الحياة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ع ١٢٢٢٤).

قال تعالى: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ

وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [البقرة:١٥١].

ومن ثم فإن علاقة الثقافة الإسلامية مع الثقافات الأخرى ينبغي أن تكون كما أشرنا سابقا؛ علاقة عدل متوازن دون إفراط ولا تفريط بحيث تقوم على الاختيار الحر والتكافؤ، وبذلك تتميز الثقافة الإسلامية عن غيرها من الثقافات، ويتميز إنسان الثقافة الإسلامية عن إنسان الثقافات الأخرى.

وعند ذلك يحدث ما يعبر عنه عمارة؛ بنهوض النموذج الثقافي بدور المعيار حيث يقول:

" فعندما تكون العلاقة صحية وقائمة على الاختيار الحر وعلى التكافؤ بين الحضارات، ينهض النموذج الثقافي بدور المعيار الذي يحدد نطاق "التفاعل والاستلهام" وحدود (التمايز والخصوصية)، فتكون العلاقة الصحية والطبيعية بين (الذات) وبين (الآخر)، في الميدان الثقافي. " (عمارة في الحياة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ع ١٢٢٢٤).

٧- أزمة إنسان الحضارة الغربية:

أشار الباحث السنغافوري كيشور مجبوباني، الذي عمل لفترة ممثلا لسنغافورة لدى الأمم المتحدة؛ إلى أن غرور الغرب ونظرته الاستعلائية للدول الأخرى، قد جعله يغمض عينيه عن حقائق واقعة بداخله، و تتمثل في المشاكل الاجتماعية والسياسية، وحقائق أخرى واقعة بخارجه، وتتمثل في القيم الحضارية التي يمكن له اقتباسها من الحضارات الأخرى الموجودة في عالم اليوم. وإن هذا الموقف هو السبب في معاداة الحضارات الأخرى للحضارة الغربية.

ويضيف الباحث، بأن مما يزيد الأمر تعقيدا؛ سياسة الكيل بمكيالين - التي أشرنا إليها سابقا، وعدم التزام الغرب بما يدعو إليه من قيم.

وهو يرى بأن فشل الغرب في تطوير إستراتيجية ناجحة للتعامل مع الحضارتين الإسلامية والصينية؛ يعد مؤشرا على عدم أهليته لقيادة العالم حضاريا في المستقبل، لما تبدى لديه من عوامل ضعف فادحة، أهمها الانحطاط الأخلاقي، والخواء الروحي، وتفكك المؤسسات الاجتماعية، حيث إنه ومنذ عام ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠م ؛ زادت نسبة الأطفال غير الشرعيين ٤١٩٪، وزادت حالات الطلاق ٣٠٠٪، في حين لم تتعد الزيادة

في عدد السكان ٤١٪ [1]. (مختار محمد في قضايا دولية، ١٩٩٤م / ١٤، ع ٢١٤٧، ص ٢٧).

ويرى مجوباني بأن الخلل الخطير في العقلية الغربية، إنما يكمن في تجاهل هذه المشكلات، ومحاولة تصدير الحضارة الغربية إلى الدول الأخرى، على أساس أنها حضارة كونية، في حين أن الواقع يؤكد أنه إلى جانب ما فيها من محاسن الحرية والديمقراطية، فإنها محملة بقيم ومبادئ ستؤدي بالغرب إلى الانهيار. وهذه حقيقة لا يراها إلا من ينظر إلى الحضارة الغربية من خارجها. (محمد في قضايا دولية، ١٩٩٤م، ع ٢١٤٧، ص ٢٧).

وهذه الأزمة التي يعيش فيها إنسان الحضارة الغربية، هي ليست وليدة اليوم،حيث إن التقارير تشير منذ زمن إلى معاناته. ومن ذلك ما جاء في تقرير للأمم المتحدة بعنوان " الوضع في العالم عام ١٩٧٠ م" حيث جاء فيه ما نصه:

" إن بعض الدول الأكثر تقدما لديها مشكلات خطيرة في مجال الجنوح.. فبرغم تقدمها المادي، لم تكن الحياة الإنسانية أقل مما هي عليه اليوم. وأن مختلف الأشكال من الجرائم الشخصية العامة – من سرقة وغش وفساد وجرائم منظمة –، تمثل ثمنا باهظا يدفعه الإنسان من أجل وسائل الحياة العصرية والتقدم. " (بيجوفيتش، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ١١٨).

ويشير علماء النفس إلى ما يهز ثقتنا في التقدم الذي حققته الدول الغربية وذلك حين يتحدثون عن ظاهرة ملموسة في الدول الغربية، وتتمثل في خلوها من المشكلات الاجتماعية التقليدية، في حين تزداد فيها حالات الانتحار والأمراض النفسية، والتي تتناسب طرديا مع مستوى الحضارة. (بيجوفيتش، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٢٢).

ونجد أن هذه النتائج هي مصداق لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام].

---

(١) لعل من أسباب قلة عدد السكان الغربيين، ميلهم إلى تجنب الحياة العائلية الصحيحة المتمثلة في الزواج الشرعي والأسرة، حيث يشير تقرير صادر من مكتب الإحصائيات والاستطلاعات السكانية في بريطانيا إلى أن الصورة الرسمية للحياة العائلية تبدو وكأنها تتجه نحو اجتناب الزواج،حيث إن سن الزواج يتأخر باستمرار، وأن سبعة من كل عشرة يفضلون العيش معا لمدة سنتين على الأقل قبل عقد القران. (الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م،ع ٦٠٤٣).

فالله سبحانه وتعالى قد فتح على أصحاب الحضارة الغربية أبواب كل شيء لكن بغير بركة ولا طمأنينة. وهذا ما تبدو آثاره على إنسان الحضارة الغربية اليوم، وهو مقدمة لنهايتها، وهذا ما يراه ليس المنتقدون لها من الخارج فقط، كما عبر مجبوباني فيما سبق، وإنما حتى العقلاء والنابهين من المفكرين الغربيين.

يقول جيان ديميكليس في حديث للنيوزويك الأمريكية عندما كان رئيسا للمجلس الوزاري الأوروبي: " ينبغي أن تحل أوربا مشاكلها ليصبح النموذج الغربي أكثر جاذبية وقبولا من جانب آخرين في مختلف أنحاء العالم، وإذا فشلنا في تعميم ذلك النموذج الغربي؛ فإن العالم سيصبح مكانا في منتهى الخطورة." (عمارة في المسلم المعاصر، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤ م، ع ٧٣-٧٤، ص ٧).

والمصير الذي تشير إليه الحضارة المعاصرة؛ هو ذات المصير الذي لقيته الحضارات السابقة التي وصلت إلى درجة عالية من التقدم في مجال السيادة في الكون، يرافقه انحدار في الجانب الأخلاقي، تسبب في أن أجرى الله عليهم سنة الإفناء، ولم يغنهم التقدم المادي عن الارتكاس إلى أسفل سافلين.

قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [غافر].

وقد أوضح الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أن العلم الخاص بالسيادة إنما هو قاصر على ظاهر الحياة الدنيا، فإذا ما استغنى به الإنسان عن الوحي المنزل لتحقيق العبودية، ومن ثم الخلافة، فإن ذلك سيؤدي إلى اندثار العلم والمدنية والعمران.

قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا

كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الروم].

فينبغي من خلال التربية تنبيه المرأة بصفة خاصة، والمجتمع الإسلامي بصفة عامة؛ إلى مهاوي الردى التي ينساق إليها إنسان الحضارة الغربية، بسبب الحرية غير المنضبطة التي أتيحت له في ظل التقدم الهائل الذي وصل إليه، الأمر الذي أدى به إلى السقوط في شرك الشيطان ومن ثم وجدناه عاجزا عن السير في الأرض بالخير رغم عبوره أجواء الفضاء. وهكذا انتشرت في الغرب عصابات القتل والخطف والتخريب وزادت الجرائم الأخلاقية وتردى المجتمع في مهاوي الفساد.

وقد كان لوسائط الثقافة الغربية، دور كبير في حدوث هذه النتائج، ويشير إلى ذلك بوب دول مرشح الحزب الجمهوري ضد كلينتون الذي " اتهم ..... (هوليود) عاصمة السينما الأمريكية بأنها تفسد المجتمع بأخلاقها المتجهة للعنف والجنس."، وقد استغلت العديد من الجمعيات الاجتماعية والشبابية هذا الهجوم الرسمي لتنظيم حملات دعائية للتشجيع على العفاف وتأكيد قيم الأسرة ورعاية الأطفال ومساعدة الشباب في التخلص من الإدمان بالتوعية داخل المؤسسات التعليمية[1]. (المسلمون، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦ م، ع ٥٨٢)

فينبغي الاهتمام في تربية المرأة المسلمة المعاصرة بالتأكيد على الآثار السلبية للحضارة الغربية على المرأة الغربية، حتى لا تخدع بمظاهر التقدم المادي الذي تعيش فيه المرأة في ظل الحضارة الغربية.

وهذه الآثار تشهد بها النساء الغربيات أنفسهن خاصة من من الله عليهن بنعمة الهداية فانضممن إلى الإسلام.

فهذه مريم جميلة تشير إلى أن الحضارة الحديثة قد استحدثت من الوسائل الكثير مما يواصل استعباد المرأة بشكل غير مباشر يجعلها تتوهم بأن حريتها وكرامتها تقاس بمدى ما تصل إليه من فرص للقيام بالأعمال والوظائف التي يقوم بها الرجل، وكذلك بمدى ما تصل إليه من إظهار لأنوثتها وجمالها للرجل. فكان في ذلك استعباد لها، بعيدا عن الحرية

(١) علق مايكل واينز، أحد أبرز أعضاء الحزب الجمهوري على الإحصائيات الأخيرة حول ارتفاع نسبة الجرائم بين المراهقين بأمريكا، بأن هذا التدهور الاجتماعي والأخلاقي قد نتج عن إهمال الأزواج لأسرهم، وزيادة نسبة الاعتماد على النساء، وزيادة أعداد الأطفال غير الشرعيين. (المسلمون، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م، ع٥٨٢).

التي من الله عليها بها في ظل الإسلام. (جميلة، د.ت، ص ١٧).

وتقول النمساوية أم أنفال- والتي تعمل معلمة في إحدى ثانويات فيينا-:

إن ما تعيشه المرأة الغربية اليوم من هموم ومشكلات، لم يأت من فراغ، بل هو نتيجة حتمية لأسباب بدأت مع حركة التحرير، حيث إن قادتها صوروا للمرأة أن الدين هو السبب في تقييد حريتها، ولابد من الثورة عليه. وبذلك تحررت من العبودية لله، لتقع في عبودية الرجل ، وتخلت عن علاقاتها الطبيعية معه، واكتفت به كعشيق سرعان ما يخدعها"[1] (حوار مع أم أنفال في المجتمع، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م، ع ١٠٨٤، ص ٥٦).

٨- الاتجاه نحو المستقبل:

إن التغير والتطور سنة من سنن الله سبحانه وتعالى والتي تزايدت معدلات سرعتها في العصر الحالي، وتعدت الأشياء المادية إلى الإنسان وعلاقاته بالكون وبالناس وبالأفكار والمعتقدات. فأصبح الإنسان ينام؛ ليصحو على غير العالم الذي نام عنه، وهو في الوقت نفسه مطالب بأن يتكيف مع هذا التغير.

وحين تجاوزت سرعة التغير معدل قدرة الإنسان على التكيف؛ أصيب الأخير بنوع من الدوار أو الاختلال في التوازن، وهو ما أسماه توفلر بـ " صدمة المستقبل " والتي يعرفها على أنها " ظاهرة زمنية من نتاج المعدل المطرد السرعة للتغير في المجتمع. وهي تنشأ من عملية التركيب لثقافة جديدة فوق أخرى قديمة. إنها صدمة للفرد في نفس مجتمعه، وليس في مجتمع أجنبي. ومن ثم فإن آثارها أخطر وأسوأ. " (توفلر، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص ١١).

والاهتمام بالمستقبل أمر مغروس في الطبيعة الإنسانية، وقد لازم الإنسان منذ وجوده على ظهر الأرض، بل إنه يعتبر أحد مميزات الإنسان. فالحاضر ليس سوى نتيجة لأحداث الماضي. والنظر في تاريخ الأمم يشير إلى أن غلبة التعلق بالماضي؛ إنما تحدث في المجتمعات

---

(١) في بريطانيا هذا العام؛ سجلت أرقام قياسية في حالات الطلاق مقارنة بالأعوام السابقة، ووجد أن متوسط مدة الزواج أقل من عشر سنوات. وفي فرنسا أجرى المعهد القومي الفرنسي للإحصائيات دراسة كشفت عن اتجاه المجتمع إلى إقامة العلاقات الجنسية دون زواج. والأمر الذي جعل علماء الاجتماع يشعرون بالقلق؛ هو أن الناس باتوا لا يخافون الزواج، ولكنهم يهربون من العيش سوية (البريطانيون يفضلون الطلاق.. في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م ع٦١١٣).

الراكدة، التي لم تتقدم أو التي همدت بعد تحرك، في حين أن العكس هو الذي ينطبق على الأمم التي تتطلع دوما نحو الأفضل حيث نجدها تبدع وتتطور. (زريق، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ١٧-١٨).

والمتدبر لآيات القرآن الكريم؛ يجد أنه ومنذ العهد المكي قد وجه المسلمين - ذكورا وإناثا - إلى الغد المأمول، وإلى التغيرات التي سوف تحدث على المستويين المحلي والعالمي. ففيما يتعلق بالمسلمين أنفسهم؛ نجد القرآن الكريم يشير إلى أن الدائرة سوف تدور على أعدائهم، الأمر الذي يقتضي منهم التهيؤ وأخذ العدة لمواجهتهم. قال تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر].

أما على المستوى العالمي؛ فقد جاءت الآيات الكريمة تخبر بهزيمة الروم التي سوف يعقبها بعد فترة انتصارهم على أعدائهم. قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾﴾ [الروم].

وقد كان التطلع نحو المستقبل هو التوجه الأساسي للمسلمين، الأمر الذي ساعدهم على النهوض وإنجاز أفضل حضارة في التاريخ، كانوا في ظلها أفراد خير أمة أخرجت للناس، لكنهم بعد ذلك ركنوا لما أنجزه الأسلاف فتخلفوا، وتسلم الراية غيرهم.

وهم حين ركنوا إلى الماضي؛ لم يدركوا أن الماضي يدعم التماسك الثقافي، لكن الاقتصار عليه والاستغراق فيه ظاهرة مرضية تحبس الإنسان عن النهوض، واستشراف المستقبل. (حسنة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص ٣٥).

ونجد الناس في المجتمعات الأخرى -المتقدمة - يحرصون على التخطيط للمستقبل القريب الفاني، فنحن أولى بأن نخطط لمستقبلنا الخالد، أي لما بعد هذه الحياة. وذلك لن يتحقق إلا من خلال إحسان التخطيط والتنفيذ لشئون هذه الحياة بما يحقق العلاقة التي يرتضيها الله سبحانه وتعالى بين الإنسان وبين الكون بكل ما فيه.

ومن ثم فإنه ينبغي من خلال التربية العمل على تأهيل المرأة المسلمة المعاصرة؛ بما يكفل لها حسن التكيف مع العصر الذي تعيش فيه، وتنمي لديها في الوقت نفسه الصفات اللازمة للعقلية المستقبلية، والتي يعرفها زريق بأنها، العقلية المتوجهة للمستقبل، الواعية بمشكلاته والعاملة على الإعداد لمواجهته. (زريق، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص ١٩٧) سيما

وأن الحاضر يشير إلى أن صورة المرأة في القرن المقبل سوف تكون معقدة، وذات مستويات تقنية تحمل أبعادا ومفاهيم وقيما خاصة، مما يستدعي محاولة استشراف تلك الصورة، وتحديد أبعادها من أجل تحديد الأولويات تجاهها.

ويحدد زريق **ثلاث صفات** يرى بأنها تمثل أهم الصفات اللازمة **للعقلية المستقبلية** وهي:

١- الموضوعية والواقعية. ٢- الانتهاج العلمي. ٣- الالتزام الخلقي.

(زريق، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص ١٩٧-٢٠٠).

ومن ثم فإنه ينبغي من خلال التربية العمل على تنمية هذه الصفات لدى المرأة وذلك على النحو التالي:

أ- الموضوعية والواقعية:

وذلك من خلال تأهيل المرأة بما يمكنها من النظر للأحداث والأمور من حولها كما هي في واقعها، لا كما يصورها لها الآخرون. والموضوعية تتمثل في وزن الواقع بميزان الإسلام، وهو الميزان العدل الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لأمة الوسط، وهو أمر يحتاج إلى جهاد كبير للنفس بسبب ما تحويه نفس الإنسان من أهواء وشهوات وأماني نتيجة لما يرثه أو يستمده من بيئته.

وامتلاك المرأة المسلمة المعاصرة لهاتين الصفتين سوف يمكنها مما يلي:

١- إدراك العلاقة بين الحاضر ومشكلاته وتحدياته، وبين الماضي باعتباره سببا لهذا الحاضر.

٢- توقع المشكلات المستقبلية، وعدم الانخداع بالأوهام والخيالات، ومكافحة التضليل في المجالات كافة ، ومن ذلك وسائل الدعاية والإغراء التي قد تدفع بها إلى رؤية الأمور والأشياء على غير حقيقتها.

ب- الانتهاج العلمي:

وهذا يتحقق من خلال تعويد المرأة المسلمة المعاصرة على دراسة الواقع بالأسلوب العلمي النقدي الاختياري المنظم، وهو الأسلوب العلمي الإسلامي الذي توصل إليه الغرب مؤخرا.

ج- الالتزام الخلقي:

بحيث توجه المرأة المسلمة المعاصرة إلى الالتزام بالقيم والمبادئ الإسلامية في جميع الأحوال.

وتكوين مثل هذه العقلية لدى المرأة المسلمة المعاصرة يحتاج إلى تخطيط رائد، ذي رؤية نافذة للمستقبل، بحيث تستفيد من الماضي في بناء المستقبل، ولا تقف عنده، بل تسعى إلى تحقيق الأهداف بترتيب أولوي، واستغلال للموارد المتوفرة ضمن الحدود المشروعة، مع مراعاة ما قد يستجد من ظروف، والتسلح بأحدث وسائل العلم من أجل ضمان العبور إلى المستقبل بأكثر الطرق أمنا، وأكثرها فعالية.(زريق، ١٣٩٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ٢٠١).

ولوسائط الثقافة دورها في تعزيز دور التربية، وذلك من خلال الإسهام في إجراء البحوث والدراسات التي تتناول مستقبل المرأة ومن ذلك:

- نظرة المجتمع إلى وضع المرأة المسلمة في المستقبل.

- التحديات التي تواجهها المرأة المسلمة المعاصرة والتي يمكن أن تواجهها في المستقبل.

- وضع الخطط التي تساعد المرأة المسلمة المعاصرة على إزالة ما قد تعاني منه من مشكلات في المستقبل.

- تناول القضايا العلمية التي تؤثر على حياة المرأة في مختلف المجالات مثل، التقنية العالمية وأثرها على حياة كل من الفرد والمجتمع.

ونجد أن مثل هذه البحوث والدراسات، هي أمر مفروغ منه في الدول الغربية، التي تعيش تخلفا من نوع آخر، رغم تقدمها العلمي وهو ما أشرنا إليه سابقا. وسبب هذا التخلف هو عدم الالتزام الخلقي الذي أدى بالمجتمع إلى كوارث اجتماعية مؤذنة بانهياره، مما دعا العقلاء فيه إلى محاولة استقراء المستقبل من خلال الواقع، من أجل تحقيق مجتمع أكثر أمنا واستقرارا.

ومن بين الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، الدراسة التي قامت بها كيتون، وهي دراسة مسحية لعينة من النساء في كل من أمريكا واليابان، وجنوب أفريقيا، وإنجلترا، ممن

تتراوح أعمارهن ما بين ٢٥ و ٤٤ سنة ولديهن على الأقل بعض التعليم الجامعي.

وقد تناولت الباحثة في هذه الدراسة بعض الموضوعات ذات الأهمية لدى المرأة المعاصرة بهدف توضيح: كيف تصبح امرأة اليوم امرأة الغد. وتعترف الباحثة أن العينات في بحثها لا يمكن اعتبارها ممثلة لنساء العالم؛ لكن دراستها يمكن أن تسهم فيما يلي:

- تقديم صورة تنبئية عن نظرة المرأة المعاصرة للمستقبل.

- إشعار المرأة بأهميـة مواجهة التحديات المستقبليـة.

- الإسهام بفعالية في تشكيل وضع المجتمع في القرن الحادي والعشرين، من أجل أن يصبح عالما من الأمان والنجاح للجميع. (Keton , 1986 , p. xx).

٩- المساعدات الدولية:

أدى تفتيت المسلمين إلى دويلات إلى تشتيت مقوماتهم الروحية وطاقاتهم البشرية في وقت نجد فيه دول العالم تسعى إلى التكتلات الاقتصادية والسياسية والعسكرية، وكانت النتيجة افتقار غالبية دول العالم الإسلامي على الرغم من ثرواتها الطبيعية والبشرية الهائلة، واستتبع ذلك إهمال عمليات التنمية البشرية والمادية ومن ضمنها التعليم، الأمر الذي أدى إلى انتشار الأمية وإهمال الرعاية الصحية وتفشي الأمراض وإهمال التنمية الزراعية والصناعية والاقتصادية. (النجار، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٢٤).

ويزداد الحال سوءا من خلال المؤثرات الثقافية التي تمارس ضغوطا هائلة على تفكير الأمة الإسلامية من خلال المشاريع التي تقام في الدول الإسلامية بغرض تطويرها وتنميتها والتي لا تخلو من أغراض خلفية، أقلها شيوعا النمط الغربي.

فمثلا تقام في كثير من الدول الإسلامية جمعيات نسائية من أجل النهوض بوضع المرأة - خاصة الريفية - اجتماعيا واقتصاديا وذلك بالتعاون مع البعثات الأجنبية التي تدعمها. فإذا ما نظرنا إلى نشاطات هذه الجمعيات، وجدناه ينحصر في كل ما يدعم النمط الاستهلاكي ويسهم في إشاعة القيم الغربية؛ مثل إحياء الحفلات الساهرة وصنع ملابس السيدات الأرستقراطيات والمتاجرة بالسلع التي تنتجها العاملات... وأشباه ذلك. (خليل خليل، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ١٢٨).

وقد كان هناك دفاع شديد عن فكرة الجرامن بنك (Gramnn Bank)، وهي فكرة

تقوم على " إقراض النساء دون واسطة الحكومات بشروط أهمها عدم الزواج قبل سن الثلاثين، وتحديد النسل بعد الزواج، واستقلال المرأة الاقتصادي عن أسرتها". وقد بدئ في تطبيق هذه الفكرة فعلا في بنغلاديش حيث نفذها محمد يونس. (المسلمون، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٥٥٩).

ولا يخفى ما في هذه الفكرة من قضاء على فكرة الزواج المبكر والإنجاب والروابط الأسرية، ونجد أن المنظمات الدولية تقف وراء دعم هذه الأفكار، حيث أذاعت قناة. (New File) التلفازية يوم الإثنين ٢٧/ ٥/ ١٤١٥هـ - ٣١/ ١٠/ ١٩٩٤م، أن منظمة الأغذية العالمية قد قامت بمنح د. محمد يونس الجائزة السنوية الثامنة " جائزة نوبل للطعام "، وذلك عن مشروعه هذا الذي - بحسب ما أذاعت القناة- دعم قيام النساء بمشروعات إنتاجية مثل شراء البذور والأبقار، والتي مكنت العديد منهن من تحسين أوضاعهن وتسديد ديونهن. (World Net United States Washington, الإثنين ٢٧/ ٥/ ١٤١٥هـ - ٣١/ ١٠/ ١٩٩٤م).

ونجد الدول الغربية تغفل دورها في تخلف الدول النامية حينما تفكر في تطوير هذه البلدان، وتذهب في حديثها عن تنمية المجتمعات النامية بالتركيز على المرأة، وأهمية القضاء على فقرها باعتبار أن عبء الفقر يقع عليها أكبر من غيرها.

بل إنها ومن أجل تأكيد التبعية لها تعمد إلى ربط مساعداتها للدول النامية بشروط، تنطلق من التصورات الغربية للحريات والحقوق والديمقراطية، والقيم ودور المرأة وتربية الأطفال والناشئة والعلاقة بين الجنسين وقضايا التعليم والإعلام وغير ذلك مما يستند استنادا مباشرا إلى القيم والنظم الغربية... " (شبيب، في قضايا دولية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٣٠٠، ص ٤٧).

وحيث إن المنظمات غير الحكومية [1] في البلدان الإسلامية تتلقى معونات ومساعدات من الدول المتقدمة، من أجل النهوض بالأوضاع الاجتماعية بصفة عامة، ووضع المرأة بصفة خاصة، فإنه ينبغي العمل من خلال وسائط الثقافة المختلفة، على

(١) تمثل المنظمات غير الحكومية ذراعا أساسيا للحكومة العالمية في فرض وإعمال سياساتها في الدول النامية. وهي تمارس نفوذا قويا على الحكومات المحلية بمستوياتها المختلفة من أعلى إلى أسفل. (يحيى في البيان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٩٣، ص ١٠١-١٠٢).

توعية المرأة المسلمة المعاصرة بحقيقة المساعدات والدعم الذي تتلقاه المؤسسات التي تعنى بأمورها، لتكون على بصيرة من أمرها، فلا تنجرف في العمل ضد مجتمعها حين تظن أنها تعمل من أجله.

لقد كانت جميع الدول الفقيرة، وحتى عهد قريب مستعمرة من الدول الغنية التي عملت على استنزاف مواردها، مما أثر على ثرواتها، وعلى توازنات البيئة فيها، ولم يذهب الاستعمار إلا بعد أن خلف وراءه مواريث تزيد من ثقل التبعة، وأهمها الحدود، التي سببت الصراعات بين الدول، فاستنزفت ما بقي لديها من موارد وبشر، ومن ثم لجأت إلى الديون عن جهل، وعدم شعور بالمسئولية بالنتائج المترتبة عليها. الأمر الذي أوصل بعض الدول، إلى أنه قد بات عليها أن تدفع سنويا ما يزيد على كامل إنتاجها القومي الإجمالي [1]. (ما لذي يدور.. في مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٤٨٤، ص ٢١).

أما الاستدانة، فإنها تتم من صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، اللذين تم تأسيسهما في الأصل من أجل إعمار أوروبا بعد الدمار الذي لحقها من جراء الحرب العالمية الثانية، وقد نجحا في تلك المهمة، لكنهما لم ينجحا في غير أوروبا، بل وصلت سياستهما إلى نتائج عكسية، وكان من أهم الأسباب لتلك النتائج:

أ - محاولة تعميم السياسات التي طبقت في أوربا على حالات مختلفة.

ب- ازدياد خبرة وحنكة القائمين على هاتين المؤسستين في تحقيق نجاحات لم تكن من أهدافهما ذات يوم، ومن ذلك أن صندوق النقد قد بدأ يحقق أرباحا بمليارات الدولارات منذ عام ١٩٨٥م / ١٤٠٥هـ على حساب الدول الفقيرة.

ج- ازدياد الشروط التي تفرضانها إلى درجة التدخل في كل صغيرة وكبيرة من سياسات الدول المدينة المحتاجة.

د- في حالة أوروبا كانت هناك رغبة كبيرة بالمساعدة في حين أنه في حالة العالم الثالث فقد اختفت تلك الرغبة، حيث يبدو أن الرغبة في إبقاء الفجوة قد حلت محلها.

---

(١) وصل حجم المساعدات التي منحتها الدول الغنية عام ١٩٩٢م إلى ٦٠ مليار دولار، في حين أن الدول الفقيرة دفعت لأقساط وخدمة ديونها ما وصل إلى ١٦٠ مليار دولار. (ما الذي يدور.. في مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٤٨٤، ص ٢٢).

هـ- ضيق أفق حكومات الدول المدينة وعدم شعورها بالمسئولية وعدم تفكيرها بالمستقبل. (ما الذي يدور.. في مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٤٨٤، ص ٢٠-١).

ونجد أن معظم المساعدات تذهب إلى دول لا يمكن اعتبارها فقيرة بحال، بل بسبب موالاتها للدول المدينة سياسيا، وأبرز مثال على ذلك أن ٣٠٪ من المساعدات الخارجية الأمريكية تذهب إلى إسرائيل؛ التي يضاهي دخل الفرد فيها دخل الفرد في الدول الغنية. ثم تأتي بعد ذلك الأغراض التجارية.(ما الذي يدور.. في مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٤٨٤، ص ٢٣).

وقد أخذت المساعدات في السنوات الأخيرة، شكل المساعدات الطارئة أكثر من المساعدات بعيدة المدى. وأحيانا ما تصل متأخرة لتأخذ شكل الإغاثة رغم تكاليفها المالية المرتفعة، والتي كان يمكنها تلافي الكوارث أو التقليل من أثرها. لكن يزول العجب إذا ما عرفنا أن معظم المساعدات التي تصل بعد الكوارث غالبا ما تكون من أجل الدعاية السياسية والانتخابية تحت ضغط الرأي العام في الدول المانحة. وفي حالات أخرى تكون لأغراض تجارية لا تخدم الفقراء. (ما الذي يدور.. في مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٤٨٤، ص ٢٣).

ويتضح حجم التخريب الذي تمارسه هاتان المؤسستان؛ من الإعلان البديل الذي أصدرته المنظمات الإنسانية غير الحكومية على هامش مؤتمر الأمم المتحدة للتنمية الاجتماعية في كوبنهاجن في مارس عام ١٩٩٥م / ١٤١٥ هـ، الذي سجل على سياسات الدول الغنية والبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي عدم مراعاتها لأحوال الطبقات الفقيرة، عند فرض السياسات التي تقلص الدعم الحكومي عن السلع الرئيسية، والخدمات الأساسية؛ كالصحة والتعليم، لتجعلها خارج متناول تلك الشرائح. (ما الذي يدور.. في مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٤٨٤، ص ٢٣).

وقد تولى بعض المحللين الغربيين المنصفين والموضوعيين بيان خطورة هاتين المؤسستين، ومن بينهم المحللة الاقتصادية (شيريل بيير) التي أوضحت بشرح واضح " كيف ينصب شرك الديون عن طريق أغنى الدول " التي تمتلك معلومات سرية عن اقتصاد الدول الأخرى لا سبيل لأحد غيرها إلى معرفتها، وهي تقول عن صندوق النقد

الدولي ما نصه:

" إن صندوق النقد الدولي هو أكبر قوة عليا حكومية في العالم اليوم، إنه لا يملك سلطة إلا أن يحكم بها حلفاء الأمم المتحدة بسبب التحكم في موارد الثروة والشئون الداخلية للدول المقترضة "، وهي قد وجهت نصيحتها إلى الحكومات الوطنية بأن " تتعلم كيف تدير اقتصادها دون اللجوء إلى صندوق النقد ومطالبه المهلكة " (دور صندوق النقد في المجتمع، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ع ١٢١٦، ص ٢٢، ص ٢٥).

وفي المؤتمر العالمي حول أفريقيا " الذي عقد في نوفمبر ١٩٩٤م/ ١٤١٥ هـ، والذي نظمته مؤسسة (بادا) [1] برعاية وزارة الخارجية الهولندية بمدينة ليدن؛ وجهت بعض الأطراف الحاضرة، ومن ضمنها أطراف أوروبية وكندية، تهما صريحة للمؤسسات المالية الدولية وعلى رأسها البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي اللذين وصفا بأنهما يمثلان " أدوات بائسة لتحرير سياسات الاستغلال الأمريكية والتطبيق القسري لمقتضيات النظام الدولي الجديد ".

وقد تناول المؤتمر موضوع (شبكة أزمة الديون)، حيث أشار إلى أن الدول الأفريقية قد وقعت ضحية للنظام الاقتصادي العالمي المختل، الأمر الذي جعل ديونها تصل إلى ما يقارب ثلاثمائة وخمسين مليار دولار، تقف حجر عثرة أمام أية محاولة للنمو من قبل هذه الدول بسبب الفوائد التي تمتص عوائد اقتصادها. وقد صرح البعض بأن " المبالغ التي يقدمها الأغنياء للفقراء باليمين تعود إليهم بالشمال "، وأن العملية ليست في جوهرها سوى احتيال مقنع يهدف إلى عرقلة الدول الأفريقية عن النهوض الذاتي. (المستقلة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ع ١٣٦).

فينبغي من خلال التربية الاهتمام بتوضيح حقيقة المساعدات التي تتشدق الدول الغنية بمنحها للدول المحتاجة لأفراد المجتمع الإسلامي والقائمين على مؤسساته إذ على الرغم من أن هناك مساعدات لا يختلف اثنان على إنسانيتها، إلا أن غالبية المساعدات تتم تبعا لأغراض تقف خلفها، وذلك إنما يعتمد على طبيعة الدولة الممنوحة.

وأهم ما ينبغي التأكيد عليه؛ هو أن هذه القروض والمساعدات إنما تغرق المجتمع

---

(١) (بادا) مؤسسة تعني بالمحافظة على تنمية حقيقية في القرن الأفريقي. (المستقلة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ع ١٣٦).

الإسلامي في أوحال الربا، وأنه السبب الذي جعل المسلمين يخرجون عن أوامر ربهم وأحكام دينهم، فاستحقوا بسبب ذلك ما هم فيه من تخلف ومعاناة؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد توعد المتعاملين بالربا بالحرب من الله ورسوله . قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة].

كذلك ينبغي تنبيه أفراد المجتمع الإسلامي- ذكورا وإناثا -إلى الأغراض المشبوهة التي تقف وراء هذه المساعدات، والتي تستخدم ستارا لأعمال المخابرات والتجسس. (النجار، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٨١).

وعند توضيح حقيقة الدور الذي قام - ويقوم - به الاستعمار ماضيا وحاضرا فإنه يجب التأكيد على العناصر التي هي خارج نطاق قدرة الغرب في فرض ما يريد، وأهمية استثمارها استثمارا مفيدا، وهي:

أ - التحول الجاري في الدول الإسلامية تجاه الإسلام.

ب- التحول الجاري في الدول الغربية تجاه الانفتاح على الإسلام.

(شبيب في قضايا دولية، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ع٣٠٠، ص٤٧).

١٠ - صورة الإسلام ووضع المسلمين في الغرب:

في ظل الهجمات الشرسة التي تشن على المسلمين في أنحاء العالم، فإنه ينبغي استخدام وسائط الثقافة المختلفة من أجل تعريف المسلمين - ذكورا وإناثا - بالأسباب التي تقف أساسا وراء هذه الحملات، وبأوضاع المسلمين في ظل الدول الغربية.

وأول ما ينبغي التنبيه إليه مدلول كلمة مسلم لدى الغربيين، والذي يتراوح بين السلبية والإيجابية، وقد أشار إلى ذلك د.محمود زقزوق أستاذ الدراسات الشرقية، وعميد كلية أصول الدين بالأزهر، وذلك على النحو التالي:

أ- المدلول السلبي لكلمة مسلم: ومما يتضمنه هذا المدلول:

١- الجمود والتقليدية في تناول قضايا الحياة.

٢- الشعب المنسوب إلى محمد، الذي استولى على الجزيرة وحرم أهل الأديان حقهم.

٣- العنف السياسي والرغبة في التوسع.

٤- الجماعات المستسلمة، الخمول التي لا تحب العمل، بدليل التخلف الاقتصادي واعتماد بعض الدول على المعونات الخارجية.

ب- **المدلول الإيجابي للكلمة**: ومما يتضمنه هذا المدلول:

١- المسلم صاحب دين، محترم، يحب التعايش والحوار.

٢- المسلمون أقوياء متحمسون لدينهم، ولديهم الرغبة في التقدم والتحضر.

٣- المسلمون ساهموا في بناء الحضارة الإنسانية بقسط وافر، وتعرضوا لمضايقات واعتداءات الغرب.

(كلمة عربي أو مسلم.. في المسلمون، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٥٨).

ويلاحظ أن هذه الصورة الإيجابية غير معلنة إلا على ألسنة بعض الدارسين الذين يتسمون بالموضوعية، ولكنها لا تترجم إلى تيار شعبي، وإنما تسود المدلولات السلبية التي تجعل الغربيين يسيئون الظن بالمسلمين ويميلون إلى إلقاء التهم عليهم.

ومما ساعد على ذلك صورة المسلمين التي يعمد الغربيون على فرضها على ناشئتهم من خلال الكتب الدراسية.

وقد أشار إلى بعض الأمثلة المطروحة في الكتب الدراسية في أمريكا د.محمد عبد العليم مرسى فكان مما أشار إليه قضيتي القرصنة في شمال أفريقيا، والصراع العربي الإسرائيلي، وذلك على النحو التالي:

أ- القرصنة في شمال أفريقيا:

في القرن التاسع عشر كانت هناك دول قوية في شمال أفريقيا، وكانت تفرض مقدارا من الجزية (ضريبة) على السفن الأوربية والأمريكية العابرة، إلى أن جاء الرئيس الأمريكي (جفرسون)، وقرر عدم الدفع، حيث أرسل أسطولا بحريا، استطاع انتزاع موافقة الحكام على ألا تدفع السفن الأمريكية تلك الجزية. وانتهت القضية في الواقع، لكنها لم تنته من كتب تدريس التاريخ الأمريكي حيث أصبح كل كتاب فيها يعرض القضية، ويضيف عليها ما يؤكد ما كانت عليه دول شمال أفريقيا من قرصنة، استطاعت البطولة الأمريكية الوقوف في وجهها.(مرسي في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م،

ع ٦٠٤٦).

ب- قضية الصراع العربي - الإسرائيلي:

فهذه القضية تقدم في الكتب الدراسية الأمريكية من وجهة النظر الإسرائيلية التي تعتبر أن اليهود هم أصحاب الحق. والأخطر من ذلك التعميم الذي ينسحب على الإسلام والمسلمين عند الحديث عن القوميين في كتب المواد الاجتماعية والتاريخ المعاصر خاصة. فعلى الرغم من أن روسيا أيدت قيام إسرائيل، إلا أن بعض قادة الدول الإسلامية قد انخدعوا بفكرة مساعدة الروس لهم ضد إسرائيل، في حين كانت القضية بالنسبة لهم أهدافا ومصالح. لكن الكتاب يركزون على تأييد روسيا للعرب مع علمهم بكراهية المجتمع الأمريكي للشيوعية وللشيوعيين، مما يقر في نفوس الأجيال الجديدة كراهية العرب.

والتلاميذ يتلقون هذه المعلومات وفي يقينهم أن العرب يمثلون الإسلام، ومن ثم يعتقدون بموالاة المسلمين للشيوعية، مما يبرر الحرب الإعلامية الأمريكية ضدهم. وتبرز خطورة الأمر في أن هؤلاء الطلاب يمثلون مواطني المستقبل من ناخبين وسياسيين. (مرسي في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦٠٤٦).

والأمر نفسه نجده في المقررات الدراسية في فرنسا حيث ذكرت د. مارلين نصر في مؤلفها: (صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية)[1] أن صورة العرب في كتب القراءة للمرحلة الابتدائية قد بدت " سلبية وخاملة ومتخلفة ، يتميز ذووها بالعداء تجاه الآخر على مختلف المستويات " وهم يمثلون بدو الصحراء في حين أن الفرنسيين يوصفون " بالتفوق والذكاء والرفعة ".

فهاتان الصورتان المتناقضتان تسهمان في إفشاء الشعور بالدونية بين التلاميذ ذوي الأصول العربية في حين تشيع الإحساس بالتفوق لدى أقرانهم من الفرنسيين. (نور الدين في مجلة الديبلوماسي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ٤، ص ٤٤).

أما كتب القراءة للمرحلة الثانوية فهي تشير إلى العربي على أنه " قاتل بشجاعة في العصور الوسطى بالرغم من هزيمته المحققة، وناضل ضد تحالف الطبيعة وسوء الحظ في

(١) الكتاب نشره مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥م.

المخيمات " وإلى جانب هذا تصف العرب بعديد من الصفات السلبية منها:

- الغزو والعدوانية والتطفل.

- الكسل والبطء والتراخي.

- الفشل والهزيمة والخضوع في كل مواجهة سيما مع الفرنسيين.

(نور الدين في مجلة الدبلوماسي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع٤، ص ٤٤).

وبصفة عامة فإن صورة العرب في الكتب المدرسية الفرنسية هي صورة ماضوية، أما الحاضر، فلا يذكر منه سوى ما يتعلق ببعض المشكلات المثارة مثل مشكلة الهجرة والعنصرية، وارتفاع أسعار البترول وعلاقة العرب بذلك، هذا مع الإغفال التام لدور الحضارة الإسلامية التي يوصف أبناؤها بكل السمات السلبية." كالسرقة والنهب والغزو والتهديد والتبعية للآخر." (نور الدين في مجلة الديبلوماسي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ٤، ص ٤٥).

وتسهم وسائل الإعلام بدور كبير في تشويه صورة العرب والإسلام وتكوين القناعة لدى الفرنسيين بأن الأجنبي المسلم أو العربي " مجرم، وعنيف، ومشاغب، بل وإرهابي.... " وهم يركزون على شخصية المهاجر بصفة عامة والعربي المسلم بصفة خاصة في حالة وقوع أية جريمة، وقد اعترفت مجلة " الإكسبرس في عددها رقم ٢٨ الصادر في يناير ١٩٨٣م بأن " الفرنسيين يميلون إلى الشك في الأجانب بسهولة واتهامهم دون قرائن، كما أنهم لا يغفرون ما يعتبرونه حدثا طارئا وغير ذي بال إذا ما كان مقترفه عربيا. " (نور الدين في مجلة الديبلوماسي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ٤، ص٤٤).

وبعد معرفة الأسس والتوجهات التي ينشأ على أساسها أفراد المجتمع الغربي؛ يصبح من غير المستغرب أن يتعرض المسلمون للحملات الشرسة في كل مكان، مما يؤكد أهمية توعية أفراد المسلمين - ذكورا وإناثا - بحقيقة الصراع بين الحق والباطل من خلال المؤسسات التربوية كافة.

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [التوبة].

وفي تفسيره لهذه الآية يشير سيد قطب إلى أن هذا الموقف يمثل الموقف الدائم

للمشركين وأهل الكتاب مع المسلمين. فالمشركون في أيام الرسول ﷺ ثم بعده، والتتار في بغداد، والشيوعيون في العصر الحديث، والوثنيون في الهند، وغيرهم، كلهم عمل جهده من أجل التنكيل بالمسلمين حينما أتيحت لهم الفرصة [1]. (سيد قطب، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، مج٣، ص١٦٠٧).

وقد لمسنا آثار هذا الظلم الذي وقع على المسلمين في البوسنة وفي الشيشان، وكذلك الحركات المتطرفة التي برزت في عدة دول أوروبية خاصة في فرنسا وألمانيا وروسيا وصربيا والتي - إضافة إلى اضطهادها لمن يعيش في ظلها من المسلمين - قد عمدت إلى المناداة بإعادة الغرباء إلى أوطانهم، ادعاء بأنهم يمثلون الخطر القادم المتربص بهم.

وفي ذلك يقول رمضان محمد:

"... وبذلك يطرح الغرب صيغة للصراع الثقافي يرى فيها الإسلام يمثل خطرا على البنية الغربية الفكرية، ومصدر الخطر إنما هو الثقافة الإسلامية، والمقصود بذلك صيغة الحياة اليومية للمسلم والتي تحرره من العبودية للأشياء، وتحرر ذاته من ضغوط الحياة المعاصرة لينطلق بعقله في ارتياد آفاق جديدة على المستوى النفسي والروحي والكياني." (رمضان محمد في الشرق الأوسط ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦٠٣٦).

وعلى التربية أن تبرز للمسلمين في كل مكان حقيقة الانتهاكات التي يتعرض لها المسلمون على أيدي أعدائهم، والتي تزايدت كثيرا في الآونة الأخيرة فكان من ذلك:

أ- محاولة إحراق المركز الإسلامي في مقاطعة " باسيك ".

ب- حريق مسجد مدينة " سبرينغ فيلد " في ولاية ألينوي من قبل مجهولين ألقوا بالكازولين بالداخل والخارج [2] . (كلمة عربي أو مسلم.. في المسلمون، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م "ع ٥٥٨).

ج- بعد حادث أوكلاهوما؛ قامت إحدى شركات المشروبات في أمريكا بفصل ٢١ موظفا من العرب من قسم المبيعات. وكانت الشركة قد قامت بتكريم هؤلاء الموظفين قبل ذلك لدورهم في إنجاح الشركة وزيادة عدد المبيعات.

---

(١) انظر (سيد قطب، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، مج٣، ص١٦٠٩ -١٦١٠).

(٢) هذا المسجد حاولت المسلمة . ياسمين ماركينسون ، وهي من المسلمين السود أن تصلي فيه، فرشقتها ثلاث فتيات بالحجارة لرفضها الاستجابة لطلبهن بخلع الحجاب. (كلمة عربي أو مسلم.. في المسلمون ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٥٥٨).

وقد ظل المفصولون طوال مدة عملهم يعانون من التمييز الممارس ضدهم حيث لم يكن يسمح لهم بالاحتفال بأعيادهم الدينية أسوة بغيرهم من الموظفين اليهود والمسيحيين. بل وكثيرا ما كانوا يسمعون كلمات تسيء إليهم وكل ذلك قد بدأ في أعقاب حادث التفجير الذي وقع في مجمع مركز التجارة العالمي في نيويورك.(كلمة عربي أو مسلم في المسلمون، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٥٨).

د-بعد أكثر من ثلاث سنوات على مأساة البوسنة؛ اتخذ مجلس الشيوخ الأمريكي أول موقف دولي منها، في رفع الحظر عن تسلح الجمهورية. وقد تسبب تأخر هذا القرار في ترجيح كفة الصرب العسكرية. (الشرق الأوسط، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٦٠٨٦).

وقد علق محمد شاكر بيه وزير الخارجية البوسني على موقف الدول الغربية من مأساة البوسنة [١] بقوله:

" إن أكبر دروس الحرب في البوسنة، هو أننا نعامل كمواطنين من الدرجة الثانية في لعبة الأمم... وهذا المعيار المزدوج في التعامل هو درس حاسم على المسلمين ألا ينسوه. "(الشرق الأوسط، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، ع٦٠٨٦).

هـ- طالت الحملة ضد الإسلام والمسلمين حتى الغربيين من الموضوعين، الذين أشادوا بسماحة الإسلام، أو ممن أنعم الله عليهم بنعمة الهداية فدخلوا الإسلام.

ومن هؤلاء (روبرت كرين) سفير أمريكا السابق في الإمارات، الذي مورست عليه بعض الضغوط في عمله بعد إسلامه؛ حيث جرد من منصبه واعتبره غير جاد " فيما يهم الولايات المتحدة." (جردوني من منصبي.. في الشعب، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ١٠١٦).

وهناك الكاتبة الألمانية آن ماري شيميل، التي تبلغ من العمر ثلاثة وسبعين عاما،

---

(١) يقول الباحث الأسباني غويتسولوا:

"إن ما حدث في البوسنة هو أن دولة شرعية معترف بها من قبل الأمم المتحدة؛ اعتدى عليها من قبل المتطرفين الصرب المدعومين من قوى خارجية، والذين يمتلكون عتادا، في حين لم يمتلك البوسنيون أسلحة. وعوضا عن أن تقوم المجموعة الدولية بتقديم المساندة والمساعدة، فإنها تركتهم يواجهون مصيرهم لوحدهم. وما حدث يمثل عودة للبربرية... لقد كان الذين دعموا الصرب يعتقدون بأن الصرب قادرين على كسب المعركة بسرعة لكن صمود البوسنيين جعل المجموعة الدولية على يقين بأهمية إنهاء المجزرة بأي شكل." (لقاء مع خوان غويتسولوا في المستقلة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٨٤).

والتي تعتبر أحد رواد أدباء العالم في الحضارة الإسلامية. فهذه الكاتبة قد تم اختيارها لجائزة أفضل كتاب في ألمانيا باعتبارها رمزا للتسامح الذي نجح في بناء الجسور بين الإسلام والغرب، إلا أن ذلك قد أثار موجة من الاستياء والغضب بين الكتاب في ألمانيا إلى الحد الذي دفع بنحو ١٥٥ أديبا وناشرا ومفكرا، من بينهم البنغلاديشية تسليمة نسرين؛ إلى توقيع رسالة مفتوحة إلى الرئيس الألماني يطالبونه فيها بحجب الجائزة عن الكاتبة. (حملة غربية.. في المسلمون، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٥٥٩).

وقد أقام أصحاب دور النشر ومحلات الكتب دعوى مشابهة؛ حيث رفضوا عرض الكتاب بها وبيعه. (طاهري في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٦١٤٣).

أما الأسباب التي تدعو أمثال هؤلاء الكتاب، وغيرهم من غير المهتمين بالنقد الأدبي إلى الوقوف هذا الموقف فهي كما أوضحها طاهري:

أ-السبب الأول: أن الكاتبة لم تفكر بكشف الحركات الأصولية في الحاضر، ولم تطلع العالم على السبب الذي أدى إلى " تحول حضارة كانت رائعة في يوم من الأيام إلي ما هي عليه اليوم من فقر فكري وعنف سياسي " كما يدعون.

وهم حين يقولون ذلك لا يدركون أن شيميل لا تهتم بالسياسة الإسلامية المعاصرة وإنما تكتب في التاريخ.

ب- السبب الثاني: وهو (جريمتها) الحقيقية؛ رفضها الانضمام إلى الحملة المساندة لسلمان رشدي، حيث إنها بدلا عن ذلك تكيل المديح للأنظمة القمعية في العالم الإسلامي. (طاهري في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٦١٤٣).

ويجدر بالذكر أن نشير هنا إلى أن الرئيس الألماني وهو يمنح الكاتبة الجائزة؛ قد امتدح دورها في مد الجسور بين الحضارات المختلفة، وكان مما قاله: " لن نستطيع العيش معا إذا لم نتبادل أطراف الحديث، وعرفنا بعضنا البعض. لقد مهدت شيميل لذلك في علاقاتنا بالإسلام وعلمتنا كيف نمد الجسور مع حضارات أخرى " (حملة غربية.. في المسلمون، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٥٥٩).

فعلى المؤسسات التربوية أن توضح للمسلمين ذكورا وإناثا؛ أن هذه الانتهاكات والحملات الشرسة التي تطال المسلمين والمتعاطفين معهم، إنما تجد مساندة من قبل بعض التيارات السياسية والعقائدية من داخل المجتمع الإسلامي ومن خارجه.

وأبرز التيارات الداخلية تتمثل في الحركات المتطرفة التي عمت أرجاء العالم الإسلامي والتي تعمل تحت ستار الإسلام وباسمه، والإسلام منها براء. فرغم أن هذه التيارات لا تمثل الصحوة الإسلامية، إلا أنها ترفع شعارها، مما أعطى إسرائيل وغيرها من الأعداء مجالا لاستعداء المسلمين، والخوف من صحوتهم. (الجسر في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦٠٣٧).

أما أبرز التيارات الخارجية فتتمثل في المخابرات الأمريكية والإسرائيلية، و هذا ما أكده المحامي الأمريكي (مايكل وارن) في لقاء مع مجلة المجتمع، حيث ذكر بأن لديه قناعة راسخة بتدبير بعض القضايا والأحداث داخل المخابرات المركزية CIA، والمباحث الفيدرالية FBI، بمشاركة جهاز الاستخبارات الإسرائيلي (الموساد) ومن بين الأدلة على ذلك: " الهالة الإعلامية الضخمة التي صاحبت حادث تفجير مركز التجارة، والتي استهدفت تأليب الرأي العام الأمريكي على المتهمين المحتملين، ثم إلصاق التهم بالإسلام والمسلمين.. وهو يرى بأن كل الدلائل "... تؤكد أن هذه المؤامرة مدبرة من قبل أطراف صهيونية في نيويورك وتل أبيب. وأنها تهدف بالدرجة الأولى؛ تشويه صورة الإسلام الناصعة حتى تظهر الصهيونية أكثر قبولا في عيون الناس. " (لقاء مع مايكل وارن في المجتمع، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ع ١٠٧٨، ص ١٧-١٨).

* * *